مجلة جامعة الملكة أروى العلمية المحكمة

QUEEN ARWA UNIVERSITY JOURNAL

جامعة الملكة أروى
Q A U

السجن وأثره في الشعر الأندلسي

د.محمد مسعد معجب يحيى

أستاذ الأدب العربي المساعد كلية التربية والعلوم برداع، جامعة البيضاء

2014

ISSN:* *2226-5759 ***ISSN Online:* *2959-3050*** ***DOI:10.58963/qausrj.v1i12.149***

Website:* *qau.edu.ye

السجــن وأثره في الشعر الأنــــدلسي

دراسة في الموضوع والفن

د. محمد مسعد معجب يحيى
أستاذ الأدب العربي المساعد،كلية التربية والعلوم برداع،
جامعة البيضاء.

مشكلة الدراسة :

معروف عن الأدب- بشكل عام والشعر بشكل خاص- تصويره لمجتمع الأديب والشاعر بكل تناقضاته، وما وجدناه في مضان المصادر الأدبية الأندلسية كان كذلك ،إلا أننا لم نجد في الدراسات الأدبية التي تناولت الشعر الأندلسي إلا وجها واحدا هو الوجه السعيد الذي يحمل رنات الأوتار وعبير الأزهار، وسلط الأضواء على الأحداث والوقائع وحضارة الأندلس اللاهية، وقلما لفتت الانتباه للوقائع الخاصة الحزينة الباكية .

وبما أن السجن وظروفه قد طبع في نفسية الشاعر الأندلسي السجين حالة من الألم عبر عنها في شعره، فنتجت عن هده الحالة صورة غير الصورة المرسومة في أدهاننا عن الشعر الأندلسي لم يتناولها الدارسون بالبحث والتحليل ، فكانا هذا باعثا رئيسيا ومشكلة بحد ذاتها استدعت الوقوف عندها ودراستها لإدراك الأبعاد النفسية الواقع فيها الشاعر الأندلسي السجين.

هدف الدراسة :

من خلال تحديد مشكلة الدراسة يتضح الهدف الرئيس من هذه الدراسة ، ألا وهو إظهار الوجه الخفي للشعر الأندلسي، وإظهار الصورة الأخرى الحزينة الباكية ، التي عكست وخز الألم وعذاب السجن،وقد وفرت الدراسة مادة أدبيه هامة في أغراض قلما لفت الانتباه إليها بالقدر الذي تستحقه ، وسلطت الضوء على المحن التي وقع فيها الشعراء، فالشعر دائما يسجل وقع الأحداث على النفس وهو من هذه الناحية وثيقة وجدانية لإدراك الأبعاد النفسية التي لولاها لما فهمنا تلك الأحداث التي عاشها الشاعر الأندلسي، ووقع تحت تأثيرها وسرد الوقائع المؤلمة

وظروفها المظلمة، فالشاعر والمؤرخ كلاهما مكيف بالظروف، غير أن الشاعر بحكم فنه وقريحته وخياله وعلاقاته بالسلطة، أميل إلى التصرف في الحدث، فقد يفسح المجال للخيال والوجدان وصدق الشعور واللسان، وقد نتجت نصوص السجن الشعرية عن أحداث واقعية أكسبتها أهميتها وميزتها.

وهذه الدراسة قد إنارة لنا الدرب حول الوجه المأساوي الخفي للشعر الأندلسي والمحنة التي عاشها الشعراء الأندلسيون .

المقدمة :

الحرية كنز يحرص عليه كل إنسان، وهي حق طبيعي له، وما أن تهدر حرية أي فرد عن طريق السجن مثلا إلا وينبري للمطالبة بها ما استطاع لذلك سبيلا، والحرية غاية يسعى لتحقيقها كل من فقدها ويمثل الشعر الأندلسي ميدانا لدراسة ظواهر مختلفة لحياة الأندلسيين، فقد كان مصورا لتلك الظواهر بحلوها ومرها، ومن تلك الظواهر ظاهرت السجن وأثرها في الإنتاج الشعري، ولقد تحدث الشعراء الأندلسيون الذين ذاقوا مرارات السجن، وعبروا عن همومهم ومآسيهم فوصفوا السجن وأثره عليهم، وكثرت صرخاتهم نظرا للواقع الأليم الذي كانوا يعيشونه، فباح الشعراء بهمومهم التي تنتابهم في السجن وخصوصا في ظلام الليل، لأن السكينة تستيقظ فيها الذات الداخلية، فيبيت السجين تحت عذابين: عذاب الجسد وعذاب القلب. وقدرات البشر على تحمل عذاب السجن تختلف من إنسان لآخر، فهو محنة يعاني منها العزيز والحقير، والقوي والضعيف

وقد تنوعت موضوعات شعر السجون في الأندلس بناء على التجربة التي عاشها الشاعر (فكل تأليف هو تجربة مارسها المؤلف في مكان وزمان معينين ، وإن هذه التجربة قد ملكت حسه وحملته على القول، وكلما زادت هذه التجربة مأساة وألما كلما رأينا هذا التأليف قادرا على استثارة مشاعرنا ومشاعر الآخرين[1]،فصدق التجربة ينتج عنه قوة الأثر، وتصديقا للقول (لا يقال الشعر إلا لأربع: شر أو غضب أو طرب أو رغب)[2]. ففي السجن تتوفر دواعي القول المؤلم نظرا لتوفر أسبابه.

واحتوت الدراسة ثلاث مباحث مسبوقات بتحديد المشكلة وأسباب الدراسة وهدفها، وأختص المبحثان الأول والثاني بالدراسة الموضوعية ، واختص المبحث الثالث بالدراسة الفنية ، فكان الأول مختصا بموضوعات الشعر التي تمركزت حول وصف السجن ،وصف حال السجين ، الاستعطاف ،الخوف من السلطان، والحنين للماضي والأهل والأحباب ،والمبحث الثاني على الأسباب الموجبة للسجن التي تمركزت حول الطموح السياسي و القول المؤدي للسجن،.

أما المبحث الثالث والذي أختص بالدراسة الفنية ،وتحديدا الصورة باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي يعبر الشاعر من خلالها تجربته الشعرية، ويقاس نجاحها بتعبيرها عن فكر وعقل الشاعر.

حيث كانت الصورة الأولى صورة الإنسان الباكي الحزين، والثانية صورة الإنسان الصابر على المحن القوي الذي لا يهتز ،وكان الزمان العدو اللدود في الصورة الثالثة، أما الصورة الرابعة فكانت

الندم .

ولعب الإيقاع - ممثل ببحور الشعر – دورا مهما في إبراز التجربة المسيطرة على الشاعر السجين ، حيث كانت البحور الطويلة هي المهيمنة على تلك التجارب ، ثم كانت الخاتمة ، وانتهى البحث بقائمة المصادر والمراجع .

منهج الدراسة :

أما المنهج المتبع في هده الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف حالة السجين وصفا دقيقا، وأثره في إنتاجه الشعري، ثم وصف المكان القابع فيه، وتحليل الصورة التي صورها الشاعر السجين، وتحليل هيمنة البحور الشعرية الطويلة على هدا النوع من الشعر.

أما أهم المصادر التي استعان بها الباحث- إلى جانب الدواوين- فهي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ،ويتيمة الدهر للثعالبي، وجذوة المقتبس للحميدي، وقلائد العقيان لابن خاقان، وبغية الملتمس للضبي، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقَري، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عداري.

المبحث الأول
موضوعات شعر السجن

أولا : وصف السجن.

تعددت السجون الأندلسية واختلفت أنواعها وأشكالها، فبعضها- وهو أشهرها-كان تحت الأرض وهذا هو المطبق المظلم الذي يمتلئ بالحشرات والزواحف والأوبئة، وهي ما أطلق عليها المطمورة. ولم تكن السجون قصرا على المطبق أو الجب ، وإنما كان ثمة نوع أخر من السجون على النقيض تماما من الأول، وهو ما يمكن أن نطلق عليه السجون البرجية، حيث يحبس المسجون في قلاع وأبراج عالية لا يصل إليها أحد، وإنما تمتلئ بالغربان الناعقة وشؤمها، وهي عالية كأن الجن صنعتها سلما للنسور، تعصف بها الرياح العاتية، أما النوع الثالث من السجون فقد جمع كل مساوئ السجنين من ظلام ووحشة وعزلة.

ووصف السجن من أهم موضوعات شعر المساجين، فكثير ما نجد في ثنايا قصائد الشعراء المساجين إشارات تدل على أحوال السجون، ويمكن استخلاص أوضاع السجون من المقطوعات المبثوثة في ثنايا القصائد لشعراء برزت موهبتهم الشعرية في السجن ، من هؤلاء الشعراء الشريف المرواني الذي أطلق عليه الشريف الطليق، لأنه مكث في السجن ست عشرة سنة، بسبب قتله لأبيه لاستئثاره بجارية كان يحبها الطليق، فسجن لأنه لم يبلغ سن الرشد فأطلق من السجن، فنزق الشباب والغيرة

العمياء كانتا السبب في سجن الطليق، الذي كان السجن المدرسة الأولى التي علمته الأدب و الشعر، وعمقت في نفسه الرغبة والإقبال على التعليم وقريحة الشعر، فأخذ ينظم في السجن قصائد تصل على الأسماع ويرددها الناس،(وكان المنصور بن أبي عامر إذا سمع إشعاره لم يصدق أنها من نظمه[3] فقال فيه أبن حزم الأندلسي: (كان مروان هذا من الشعراء المقلقين المحسنين[4]، سجن في سجن المطبق بالقرب من قرطبة وعمره ست عشرة وأطلق وعمره اثنتان وثلاثون سنة. فوصف السجن بالمكان المظلم إزاء مدينة الزهراء التي تتلألأ أزهارها، فهو مظلم في النهار كما هو في الليل لكونه تحت الأرض، ولذلك وصفه الطليق بأنه كالليل أسود فاحم وتتساوى جوانبه ونواحيه مع أثباجه(وسطه) في الظلمة . فقال: [5]

في منزل كالليل أسود فاحـم	داجي النواحي مظلم الأثباج
يسود والزهراء تشرق حوله	كالحبر أودع في دواة العاج

ويصف ابن حزم السجن بالقبر فيقول: [6]

يا هاجعا والرزياء لا تؤرقه	قل كيف يهجع من في ا لكبل مهجعه
أم كيف حالة حي ساكن جدثا	يرنو بعيني أسـيرعز مطمـعه

أما القيسي فقد تجاوبت وساوس نفسه مع وحشت السجن ، ووصفه بدار الكفر فقال: [7]

في دار كفر أظلمت أرجـاؤها	حتى تبدت للعيـان ظلامها
في قعر بيت غوله مجموعـة	والهام فيه قد أجاب الهـام
ما لي به أنس سوى تذكاركم	ومدامع حمر تفيض سجاما

ويصف ابن عمار السجن بموضعه الكريه، وعلوه الشاهق، فهو يقع في منطقة جبلية شديدة الارتفاع ، وهي قلعة شقورة المنيعة ، التي لا يمكن الوصول إليها إلا بشق الأنفس ، وذلك لضيق الطريق ووعورته وعلوه الشديد، ونظرا لشدة ارتفاعه تتخذه الجن – في تمردها وعتوها – مصعدا إلى كوكب النسر ، وهو أوحش الأماكن المقفرة الخالية من الناس ،ولشدة وحشته تتناكر الوجوه فيه فلا يتعارفون ويشبهه بالخوافي التي استترت مرة بين قوائم النسر، وأخرى بين الأفلاك، وقد علته السكينة والوقار لطول عمره، ولفرط علوه فالرياح لا تعلوه وإنما تجري تحته، وقد أمسك عنان الرياح فيصرفها كما يشاء، و تنعدم فيه أدنى شروط النظافة،فقال: [8]

بمعـارج آدت إلى جرد	حتى من الأنـواء والقطـر
عـال كأن الجن إذ مردت	جعلته مرقـاة إلى النسـر
وحش تناكرت الوجوه به	حتى استردت بصفحة البدر
قصـر تمهد بين خافقتي	نسـرين بصفحة البـدر
متحيرسـار الوقار على	عطفيـه من كبر ومن كبـر
ملكت عنان الريح راحته	فجيـادها من تحته تجـري

ويصفه عبد الملك بن إدريس الجزيري بأنه يناجي السحاب، فهو في جبل مرتفع شديد الارتفاع ، موحش لا تأوي إليه إلا الغربان الناعقة ولا تهب فيه إلا الرياح الشديدة الهبوب الباردة، وهي ريح مهلة كالتي أهلكت قوم عاد ، فقال تعالى : (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتيه)(9)، ويوشك من يصعد إليه أن تنقطع أنفاسه، فقال :(10)

يأوي إليه كل أعور ناعق ... وتهب فيه كل ريــاح صرصر
ويكاد من يرقى إليـه مرة ... من عمره يشكو انقطاع الأبهر

أما ابن شهيد فقد شعر بالوحشة لأنه ساكن هذه الدار ، فسكانه دائما قائمون أو جالسون فهم على الجمر، ويتألمون أشد الألم ، بالإضافة للفزع الذي يتلبسهم من سماع نشيد الجن والشياطين وصدى غنائهم في أرجاء الدار، فقال :(11)

فــراق وسجن واشتياق وغربة ... وجبــار حفَاض علىَ عتيد
مقيــم بدار ساكنــوها من الأذى ... قيام على جمر الحمام قعود
ويسمع الجن من جنبـــاتها ... بسيط كترجيع الصبا ونشيد
وما أهتز باب السجن إلا انفطرت ... قلوب لنا خوف الردى كب

ونترك السجون البرجية لنعود للسجون التحتية ، التي تحفر في باطن الأرض،وهي تلك المطامير أوالمطابق، التي يحدثنا عنها الوزير هشم بن عبد العزيز في جنينه إلى جاريته عاج، حيث يحكي لها أن المطبق منيع مغلقة أبوابه بالحديد فقال :(12)

وإني عداني أن أزورك مطبـق ... وباب منيــع بالحديد مضبب
فإن تعجبي يا عاج مما أصابني ... ففي ريب هذا الدهر ما يتعجب

وهذا المطبق حالك الظلام ضيق المكان ،كأنه قبر كما قال ابن مسعود :(13)

في منزل مثل ضيق القبر أوسعه ... دخلته فحسبت الأرض تهوي بي

ويصفه عبد الملك بن غصن ببطن حوت، وأن الحوت قد حمل به،ويتوجه إلى ابن هود صاحب سرقسطة لكي يسهل ميلاده بوساطته عند ابن ذي النون الذي سجنه، فقال :(14)

وها أنا في بطن الثرى وهو حامل ... ميسر على رقبي الشفاعة مولدي

ويشكو ابن حزم حاله و طول سجنه في هاويات المطبق،فقد تبعثرت كل أمانيه آملا الفرج ، فقال: (15)

أم كيف حــالة حي ســاكن جدثا ... يرنو بعيني أسيــر عز مطمعه
قد طال في هاويات السجن محبسه ... واندثرت من شمله ما كان يجمعه

ثانيا : وصف حال السجين.

فحال السجين إما عذاب جسدي أو نفسي ، فالجسدي يتمثل في التكبيل بسلال الحديد التي تسبب ألما جسديا للسجين، فيصور أبو محمد عبد الله بن عذرة هذا بقوله :(16)

يعض برجلي الحديد وليس لي ... حرك لمـــا أبغي ولا أتنقل

ركبت أراجلهــا الأداهم كلما　　يتحركـون إلى قيام تصهل
كأن الحديد لبـاسهم وشعارهم　　واليوم لم تلبسه إلا الأراجل

والأنكى والأمر من ذلك أن السجين يرغم على القيام بحقير الأعمال وأرذلها، وهذا يشعره بمرارة وغصة في نفسه، إلى جانب الجهد المبذول لإنجاز ما يكلف به من شاق الأعمال،كالحفر والهدم والكنس والرش، فيقول الشاعر المسجون في ذلك: [17]

وا حسرتي بعد اشتغالي بالعـلو　　م ودرسها وتلاوة القرآني
أمسي وأصبح خادما متصــرفا　　لعبادة الأصنام والصلبان
إن لم أكن بالحفر مشــتغلا أكن　　بالهدم مشتغلا مع البنيـان
والكنس في يوم الجلوس صناعتي　　والرش يتبعه مدى الأحيان

ويشكو من قيده الملتف علي ساقيه كالثعبان الذي لا يرحم ، فقال: [18]

قد كان كالثعبان رمحك في الوغي　　فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحـذائك كل تمــدد　　متعطفا لا رحمة للعاني

ومن مظاهر القسوة التي تمارس مع السِجناء إجبارهم بأعمال ليسوا بقادرين عليها ، ولا عليها تعودوا ، فيقول ألحجاري في ذلك : [19]

أصبحت في بُسقاية مسلَما　　إلى الأعادي لا أرى مُسلما
مكلفا ما ليس في طـاقتي　　مصــدفًا منتهرامرغمـا
أطلب بالخدمة وآ حسرتي　　وحالتي تقضي بأن أخدما

ولئن حاول السجين أن يتخلص من هذا الواقع المؤلم عن طريق الخيال، وتراءت له صور الماضي السعيد ، فإنه سرعان ما يرتد إلى حاضره الكئيب مكلوم الفؤاد ملتهب الجوانح ، من هؤلاء ملك الشعراء وشاعر الملوك المعتمد بن عباد فقال : [20]

كنت حليف الندى ورب السماح　　وحبيـب النــفوس والأرواح
إذ بيمني للبذل يوم العطــايا　　ولقبض الأرواح يوم الكفــاح
وأنا اليوم رهن أســر وفقر　　مستباح الحمى مهيض الجناح

وضاق القيد برجله كما ضاقت المعالي والمكانة العالية بما آلت إليه ،ونعى نفسه على ما كان عليه ، وما صار إليه بعد أن غلبه الدهر فقال : [21]

أنبــاء أسرك قد طبقن آفــاق　　بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا
قد ضاق صدر المعالي إذ نعيت لها　　وقيل إن عليك القيـد قد ضــاق
إني غلبت وكان الدهر ذا غلــب　　للغــالبين وللســباق سباقا

وسجن معه طائفة من أهل فاس بالمغرب فترة ، ثم أفرج عنهم وبقى المعتمد في سجنه يشكو من ضيق الكبل، ويبكي بدمع كالوبل، فدخلوا عليه مودعين فقال : [22]

هبــوا دعـوة يا آل فـاس لمبتلي　　بما منه قد عافاكم الصمد الفرد

تخلصتم من سجن أغمات والتوت علي قيـــود لم يحن فكاكها بعد
من الدهـم أما خلقها فأســاود تلوي وأما الأيد والبطش فالأسد
خرجتم جمــاعات وخلفت واحدا ولله في أمـري وأمـركم الحمـد

ونتيجة للمعاناة الجسدية والنفسية التي يلقاها السجين في السجن، يتمنى الموت على السجن ، فيرد المعتمد على أبي العلاء زهيربن عبد الملك الذي دعى له بالبقاء بقوله :[23]

دعى لي بالبــقاء وكيف يهوى أســـير أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حيـــاة يطول على الشقي بها الشقاء
فمن يك من هواه لقـــاء حب فإن هواي من حتف اللقـــاء

فهذا الشاعر الذي لم يفقد ملكه وعرشه فحسب ، بل وقع في الأسر فقد كان عرشه كعبة الشعراء ومقصد الذين يطلبون المال أو الشرف .لكن كل هذا قد زال عنه،انه مجرد سجين أسير في أغمات فقر ومذلة حل محل الغنى والمجد فقال :[24]

ذل وفقر أزال عزةَ وغنى نعمى الليالي من البلوى على كثب

ودائماً يصحب الفقر الذلة ،لأن الملك يرى يديه خاويتين، ولا يمكنه أن يمنع طالبيه العطايا ، فهو رهين الفقر ولأسر، ولا يمكنه أن يعين من يستعينون به أو يطعمون من كرمة فقال :[25]

وأنا اليوم رهين اســـر و فقر مستباح الحمى مهيض الجناح
لا أجيب الصريخ إن حضر النا س، ولا المعـتقين يـوم السـماح

وبجانب العذاب الجسدي الذي يلقاه السجين ، يتعرض لعذاب نفسي ،يرزح تحته السجين ،خصوصاً إذا كان السجين بطلا تعود أن يرى الحديد مساعداً له في المعركة ، وإذا بهذا الحديد يتحول إلى أداة قهر وإذلال فإلى سجنه المادي سجن معنوي كذلك، إنه سجن الكبرياء والقيد فيه يقيد النبل والعظمة لدى ملك شاعر، إنها قيود حديدية في واقعها المادي الملموس ولكنها تغل الأيدي والأرجل تغل العظمة والكبرياء فيقول المعتمد :[26]

تبدلت من عز ظل البنود بذل الحـديد وثقـل القـيود
وكان حديدي سنتنا ذليقا وغضبا دقيقا صقيـل الحديد
فقد صـار ذاك وذا أدهما يعض بساقي عض الأسـود

وتدخل عليه أسرته وهو في السجن، والقيد على رجله، وفيهم أصغر أولاده وأحبهم إليه أبو هاشم ، وهو الذي تذكره يوم معركة الزلاقة والحرب مستعرة الأوار ، فنظر الولد الصغير لأبيه وهو مقيد وقد التوى القيد على رجله ، وعهده به متربعا على سرير الملك ،أو متسنما منبر الخطابة ، أو ممتطيا صهوة الجواد ، وتحف به الأبطال فلم يستطع تحمل ذلك ، فذرفت الدموع من عينيه متألما من الموقف فقال :[27]

قيدي أما تعلمني مسلمـا أبيت أن تشفق أو ترجما
دمي شراب لك واللحم قد أكلته لا تهشم العظمـــا

يبصرني فيك أبو هـاشم　　　فينثني القلب وقد هشما

ولم يكن المعتمد في سجنه مستسلما للظلم بل ظل عزيز النفس، بل ظل عزيز النفس ، وما زيارة الأدباء والمؤرخين لقبر المعتمد على مر العصور إلا دليل على رغبة هؤلاء ، في رد الاعتبار إليه ، ولم يقف المؤرخون عند هذا الحد ، بل نزع بعضهم إلى ذم يوسف بن تاشفين بعبارات صريحة ، كقول ابن الأثير: وفعل أمير المسلمين لم يسلكها أحد من قبله ، ولا يفعلها أحد من بعده، إلا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة ، وذلك انه سجنهم، فلم يجر عليهم ما يقوم بهم ، حتى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة يقتتن بها [28]، فقال المعتمد في ذلك : [29]

أأرغب أن أعيش أرى بناتي　　　عوارى قد أضر بها الحفـاء

خوادم بنت من قد كان أغنى　　　مرتبة إذا ابدوا النــــداء

وطرد الناس بين يدي قمرى　　　وكفُّهم غص الفــــناء

وهذا الموقف جعله يتمنى الموت قبله ، ويذكر أبنيه اللذين ماتا من قبل بأنهما أحسن حال منه ولو أنهما عادا إلى الحياة ، وخيِّر بين القبر والحياة الدنيا لاختارا القبر ، حتى لا يريا أباهما في سجنه وما هو عليه من الحال وبناته اللائي هلكن بكاء عليه ، وأمهما التي آلمها الثكل فانهالت دموعها التي لا تكف، فقال : [30]

فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى　　　إذا أنتما أبصرتماني في الأسـر

مع الأخوات الهـــالكات عليكما　　　وأمكما الثكلى المضرَمة الصدر

فتبكي بدمع ليس للقطر مثله　　　وتزجرها التقوى فتصغي إلى الزجر

وبعد مجالسة العلماء والأدباء وأعيان الناس ،يجد نفسه أخيرا نفسه أخيرا في صحبة لصوص في السجن ن لا شك انه في ذلك ألما نفسيا عميقا . عبر عنه بصورة رقيقة عندما تم الإفراج عن لصوص كانوا معه في السجن ، وقد عاثوا فسادا في فاس ، فقال : [31]

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة　　　لقد أن أن يفنى وبفنى به الخد

هبوا دعوة يـــا آل فاس لمبتلى　　　بما منه قد عافاكم الصمد الفرد

تخلصتم من سجن أغمات والتوت　　　عليَ قيـود لم بحن فكاكها بعد

خرجتم جماعــات وخُلفت واحــد　　　ولله في أمري وأمركم الحمــد

ومعانات أسرته قد شاركت في تكدير صفوه ودواعي تحطيم نفسه ،فمن ملوك إلى ضائعين عاريين ، فنظر إلى بناته عندما دخلن عليه وهوفي السجن يوم العيد، فلما رآهن في الأطمارالرثة وقد بدت عليهن آثار الفاقة وما أصابهن من بؤس وشقاء، فقال : [32]

فيما مضر كنتَ بالأعياد مسرورا　　　فساءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمــار جائعة　　　يغزلن للناس ما يملكن قمطيـرا

برزن نحوك للتســليم خاشعة　　　أبصـــارهن حسيـرات مكاسيرا

ثم يصور ذلك في نفسه واثره في نفسيته فقال: [33]

أفطرت في العيد لا عادت إساءته   فكان فطرك للأكباد تفطيرا
قد كان دهرك أن تأمره ممتثلا   فردك الدهر منهيا ومأمورا

وطول السجن يترك في نفسية السجين ضلا من الضيق والكآبة واليأس، فيستسلم لمصيره ويتوجه إلى الله يلتمس العزاء والمغفرة وهذا الواقع يدفع الكثيرين من الشعراء المساجين إلى التأمل في سيرتهم وفي الأحداث التي عاشوها ، والانتهاء إلى استنتاجات هي خلاصة آرائهم ونتيجة تأملاتهم ، وتلك الخلاصة أو الحكمة أو العبرة يمكن أن تكون ناتجة عن تجارب وممارسات ذاتية ، ويمكن أن يستنتج الإنسان عبرا وحكما من تجارب الآخرين ، وتلك العبرة تكون دروسا للمتأمل نفسه ، تصدر عنها حكما كقول المعتمد : (34)

من بات بعدك في ملك يسر به   فإنمابات بالأحلام مغرورا

ويعبر ابن زيدون من سجنه بهذه الحكمة معترفا بتداول الدهر ورفع بعض الناس ، وإنزال الآخرين ، فيرسل نفثا ته إلى صديقه أبي حفص بن برد الأصغر قائلا (35)

يا أبا حفص وما سا   واك في فهم إيـــاس
وكذا الدهـر إذا مــا   عـز ناس ذل نــــاس

ثالثا : الحنين للماضي

يقع السجين في زاوية من الحبس ، يقلب الأغلال والكبول التي تثقل كاهله ،يقضي ليله أرقا، لا وليف ولا أنيس ، فتتدافع فيه انفعالات النفسية والعاطفية ، ويخترق خياله جدران السجن السميكة وأبوابه الموصودة إلى مراتع صباه، إلى الماضي والأهل والأحبة،إلى ذلك العالم الغني بالذكريات ، فلا ترى عين الشاعر السجين المشوق بقعة تضاهي دياره،فيبوح عفويا بما تختلج به نفسه من شعور، وعواطف للأهل والخلان والماضي،فتحدث النفس صاحبها المتواري خلف الجدران ، الذي يغشاه الظلام من كل صوب ، الظلام الحقيقي والظلام المعنوي، الذي ينبعث في النفس ، باحثا في صفحات الماضي متأملا ومتذكرا حياته الماضية ومن فيها من الأهل والأولاد والأخوة والأحباب ، متشوقا إليهم يستعيد ذاكرة الأيام الجميلة السعيدة ، التي أمضاها معهم، حالما بالحرية والانطلاق من قيوده وسجنه ،فهذ ابن شهيد يصور اشتياقه في سجنه لمن بحب فقال : (36)

وهل كنت في العشاق أول عاشق   هوت بحجاه أعين وخـــدود
فراق وسجن واشتيـــاق وذلة   وجبـار حفاظ علي عتيـــد
وهل أنت دان من محب نأى بــه   عن الألف سلطان عليه شديد
ومازال يبكيني وأبكيه جـــاهدا   وللشوق من دون الضـلوع وقود
إلى أن بكى الجدران من طول شجونا   وأجهش باب جانبـــاه حديد

وإذا كان السجن في نظر ابن شهيد فراق واشياق وذل ،حتى حنت الجدران لحنينه ،فهذا قليل في نظر الرمادي ،فهذا كله لم ينسه محبوبه ، ولم يمنع عنه خياله وطيفه ، فقال : (37)

هبوا أن سجني مانع من وصاله ... فما الخطب أيضا في افتتاح خياله
نعم لم تنم عين فيطرق طيـفه ... زوال منـــامي علة لزواله
فدا الصب من لم ينسه في بلائـه ... وينسى رسمه من كان في مثل حاله
ومن صار سجني قطعة من صدوده ... وطـول اكتـأبي شعبة من ملاله

ويحن المعتمد بن عباد لماضيه ووطنه وهو في سجن أغمات، فيقول :(38)

غريب بأرض المغربين أسيـر ... سيبكي عليه منبر وأسيـر
إذا قيل في اغمات قد مات جوده ... فما يرتجى للجود بعد نشور

وعبر الشاعر الفارسي سعيد بن جودي حين أسره عمر بن حفصون ، رأس الفتنة بالأندلس ،قبل إمارة سعد ورئاسته للعرب ، حيث اجتمعت علية محنة السجن والأسر ، وتتوالى الذكريات وتتأجج العواطف ويتوهج الشوق ، فتبوح النفس بمكنونها فيخاطب حبيبته وروحه خطابا تهفو إليه نفسها ،ويطمئن إليه قلبها ،وتشتاق إليه قائلا : أن همومه وأحزانه وآلامه قاساها ببعده عنها ، وسيلقى بها خالقه يوم العرض عليه ، وستشفع له عند ربه ، وإن كربته وحزنه ومعان اته ببعدها عنه أشد وأقسى من القتال، ثم يتوجه بخطابه إلى مخاطب غير معين يلتمسه ان يكون رسوله، ينقل تحياته وسلامه إلى والديه وعروسه المتلهفون عليه ، فقال : (39)

بهمك ألقى خالقي يوم موقفي ... وكربك أقضى لي من القتل والأسر
وإن لم يكن قبر فأحسن موطن ... من القبر للفتيان خوصلة النسـر
فيا ضـاعنا أبلغ سلامي تحية ... إلى والدي الهـائمين لدى ذكري
وأد إلى عرسي السلام وقل لها ... عليك تحياتي إلى موقف الحشـر

والأشواق صدى للذكريات التي تشد الشاعر إلى الماضي الجميل ،وإلى الأهل والأبناء والأخوة والأحبة ، فهذا الشاعر محمد بن مسعود البجاني يتشوق من سجنه لحبيب قلبه ويحن إلى من يحبه عند مكابدة المصائب والنوازل في سجنه ، كما تحن وتشتاق الإبل إلى الماء حينما تشارف على الهلاك ، ويكاد يقتلها الضما في لهب الصحراء ، وهذا الشوق والحنين ملازم له لا ينفك عنه حتى لو فارق الحياة ، وتوسد الثرى في قبره ، فقلبه المعنى سيستمر في حنينه ،ومناداته كما يفعل المؤذن عند ترديد صوته، فيقول :(40)

يحن عند مقاســات البلاء به ... قلبي إليك حنين الهدم والنيَب
ولو توسد أطباق الثرى جسدي ... ناداك قلبي بترجيـع وتثويب

ويتشوق الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري من سجنه لإبنه الأصغر وبعجن لقلبه كيف لم يتصدع لفراق ابنه الأصغر، وما خفف عليه إلا سكونه لابنه الأكبر، فقال :(41)

ألوى بعزم تجلدي وتصبـري ... نأي الأحبـة واعتياد تذكري
وإذا الفتى فقد الشباب سماله ... حب البنين ولا كحب الأصغر
عجبا لقلبي يوم راعتنا النوى ... ودنى فراقك كيف لم يتفطـر

ما خلتني أبقى خلافك ساعة لولا السكون إلى أخيك الأكبر

ويسأل الشاعر يوسف بن هارون الرمادي فتاته ،وتساؤله فيه لوم وشدة لأنه أستخدم الأداة (هلا) مستوضحا منها ، ألا يكفيها نحوله وهزاله وتعبه وانسكاب دموعه ، بسبب الفراق والشوق ، في الوقت الذي إحاطته الهموم هموم الحزن والشوق ، وهذه الحال كفيلة بأنه ينال الوشاة ما تمنوه من سوء حاله وسجنه وأحزانه وأوجاعه، وقد خفيت هموم وأحزان أخرى في قلبه ومكنون نفسه ، وهو متعب ومرهق بكتمان حبه ، فإن قتل الكتمان شخصا فهو ذلك القتيل فالنفس الإنسانية بحاجة دائما إلى من يواسيها ويرثي لها ، ويمنحها السلوى ، ويبث فيها الأمل وهكذا فإن الشاعر يطلب عون المرأة وحبها له وحزنها من أجله في وقت الشدة ، وعلى الرغم من الشدائد التي يعانيها الشاعر فإنه يحاول أن يبدو شجاعا أمامها ،فسجن الجسد يمتد تأثيره إلى الروح ، حيث تسجن المشاعر والأحاسيس ومن ثم فإنها تثور ثورة عارمة مفصحة عن نفسها، وأعظم هذه المشاعر وأكيدها تأثيرا في حياة الإنسان الشاعر عاطفة الحب ، الذي يولد ويتأجج بين جدران السجن، فالنفس الإنسانية بحاجة دائما إلى من يواسيها، وهكذا تصير المرأة هم الشاعر المقيم المقعد ، فيتعاون الحب والسجن على الشاعر فينحلان جسمه خصوصا إذا كتم حبه كقول الرمادي :(42)

نسائلها هلا كفاك نحوله ونصبته أو دمعه وهموله
تكنفه همان شجو وصبوة فبلَغ واشيه المنىون عذوله
فإن تستبن في وجهه هم سجنه فقد غاب في الأحشاء عنك دخيله
معنى بكتمان الحبيب وحبه فإن يقتل الكتمان فهو قتيله

وعندما يشتد الهلع بالشاعر داخل السجن يلوذ بمحبوبته التي أفزعها ما آل إليه حاله ، فبعدت عنه فيتمنى لو كانت قريبة منه ومن سجنه ، فقربها من السجن كان وحده كفيلا بتخفيف حزنه ، فالمحبوبة هي الملاذ التي يلوذ إليها الشاعر عندما تشتد به المحن ، وتتأزم الأمور ، فالحب بما فيه من طاقة عاطفية كفيل بصنع المعجزات بما في ذلك إبعاد الشاعر عن السجن، كقول الرمادي :(43)

لقد راعه سجني فشط ولو دنى من السجن لم يسهلا علي دخوله

أما ابن شهيد فيضع يده على السبب الحقيقي الذي جعل المحبوبة تبتعد عن حبيبها في سجنه وهو السلطان ،سواء أراد بالسلطان هنا الحاكم بعينه أو السلطة المجردة ، وهذا التعليل ناتج عن حوار دار بينه وبين حمامة رآها– وقد حطت على أسوار القصر – تبكي إلفها بدموع غزيرة،وقارن بين حالته في وحدته الموحشة وحالتها في البكاء على إلفها ، ثم طلب منها أن تقترب منه ، فاقتربت مصفقة بجناحها وحطت بجواره، وظلا يتباكيان حتى تاثر ببكائهما كل من حولهما من جدران وباب حديدي ،فقال :(44)

وقلت لصداح الحمام وقد بكى على القصر إلفا والدموع تجود
ألا أيها الباكي على من تحبه كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب دنى به عن الألف سلطان عليه شديد

فصفق من ريش الجناحين واقعا   على القرب حتى ما عليه مزيـد
وما زال يبكيني وابكيه جاهــدا   وللشوق من دون الضلوع وقـود
إلى أن بكى الجدران من طول شجونا   وأجهش باب جانبــاه حديد

وطابع السجن ظاهر في أبيات ابن زيدون التي يتحدث فيها عن ذكرياته الماضية ، وأسفه على الأيام الخوالي المليئة بالسعادة واللهو وزيارة المحبوبة دون التعرض للمخاطر ، فالشاعر لا يستطيع استرجاع لهو تلك الأيام ولا نعيم تلك الليالي ، حيث كانت حياته تسير سيرها الطبيعي ، فلم تكن التحية مجرد إيماء إلى المحبوب يرسلها مخالسة خوفا من أعين الأعداء، ولم تكن الزيارة تنطوي على خطر كبير، فزيارة السجين السياسي محفوفة بكثير من المخاطر ، ويرى الشاعر أن كل هذه الصور ما هي إلا أماني ليس له منه إلا الذكريات وبها يشتد غرامه وولعه بمحبوبته داخل السجن ، فقال : [45]

لا لهو أيامه الخالي بمرتجع   ولا نعيم ليــاليه بمنتــظر
إذ لا التحية إيمــاء مخالسة   ولا الزيارة إلمام على خطر
منى كأن لم يكن إلا تذكرهـا   إن الغـرام لمعتـاد مع الذكر

ويتذكر المعتمد بن عباد قصوره وأماكن فرحه وحبوره ، فيتضاعف حزنه وتتعمق حسرته ، فكلما أظلم عليه السجن ، أو أطبق عليه القيد تذكر القصور ولياليها ، مقارنا بين ماضيه وحاضره ، فقد وصف ابن خاقان تلك القصور بقوله : (وكان الحصن الزاهر من أجمل المواضع لديه ،وأحبها إليه وأحلاها إطلالة على النهر ، وإشرافه على القصور وإجماله في العيون، واشتماله بالشجر والزيتون ،وكان له من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب ، ما لم يكن لبني حمدان في حلب، ولا لسيف بن ذي يزن في رأس غمدان)[46] ،فندما اشتد عليه البلاء تذكر تلك القصور فقال : [47]

سيبكيه في زاهيه والزهر والندى   وطلابه والعرف ثم نكير

وتمر عليه في موضع سجنه سرب قطا ، وهي تمر في الجو وتسرح في موقع النور فتنكد لما هو عليه من الوثاق، وما دون أحبته من الرقباء،وفكر في بناته وافتقارهن إلى نعيم عهده، وحبور حضرته فقال : [48]

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بي   سوارح لا سحب يعـوق ولا كبـل
ولم تك والله المعيــذ حســادة   ولكن حنينا إن شكلي لها شكل
فأسرح لا شملي صديع ولاالحشى   وجيــع ولا عيني يبكيهما ثكل
هنيئا لهــا أن لم يفـرق جمعهـا   ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
وإن لم تبت ليلا تطيــر قلوبها   إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
لنفسي إلى لقيا الحمــام تشوق   سواي يحب العيش في ساقه كبل

ويتعرض الشاعر السجين إلى موجات عاطفية تجعله يعيش في أجواء ملؤها الرجاء والأمل ، ثم لا يلبث أن يتعرض إلى ومضات قاتمة تجعله بعيش في جو من السأم واليأس لذلك نجده يخرج من يأس إلى أملا ، ومن أملا إلى يأس ، ومن هؤلاء الشعراء الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي في سجنه ، حيث

يقول : [49]

صبرت على الأيـــام لما تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
فيا عجبا للقلب كيف اصطبـاره ... وللنفس بعد العز كيف استـذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعـت تاقت وإلا تسـلت
وكانت عاى الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت
وقلت لهـا يا نفس موتي كريمة ... فقد كانت الدنيا لنـــا ثم ولَت

ويرى المعتمد أنه بتقلبه قد أوقع به الأذى ونسخ كل أمانيه ، فقال : [50]

تؤمل للنفس الشجيـــة فرحة ... وتأبى الخطوب السود ألا تماديا
لياليك في زاهيك أصفى صحبتها ... كما اصطحبت قبل الملوك الليا ليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناســخ ... وبعدهما نسخ لمنايا الأمـــاني

رابعا : الخوف من السلطان.

نال الخوف من السلطان حضا من الشعر، وكان لكل حاكم منتقوه من الشعراء لهجو بحقيقة ما يؤمنون به من آراء، فكان ذلك طريقا سهلا لعقوبتهم بالسجن، ومن هؤلاء أبن شهيد الأندلسي، فقد ذاق مرارة السجن على يد الخليفة المعتلي بالله يحيى بن على بن حمود، الذي بويع في قرطبة سنة 4012 هـ بسبب بعض آراء كان يجهر بها ،فضلا عن سعايات أعدائه ، فأودع السجن ، وفيه كابد أقسى مشاعر الخوف والهلع مما سيكون من عقوبة الخليفة له، فكتب قصيدته الدالية يصف فيها مشاعره عند اهتزاز باب السجن فقال : [51]

فمن مبلغ الفتـــيان أني بعدهم ... مقيم بـــدار الظالمين وحيـد
مقيم بدار ساكنـــوها من الأذى ... قيام على جمر الحمام قعـود
وما أهنز باب السجن إلا تفطرت ... قلوب لنا خوف الردى وكبـود
ولست بذي قيـــد يـرن وإنما ... على اللحظ من سخط الإمام قيود

ولم يسلم من الخوف أصحاب السلطان المفقود ، من هؤلاء الحاجب المصحفي أحد رجال دولة الناصر خليفة الأندلس، والذي أودعه المنصور بن أبي عامر السجن ، وهناك كان ينتظر بطش المنصور فتلبسه الخوف والهلع، فقال : [52]

ولا تأمنن من الزمان تقلبا ... إن الزمـــان بأهلــه يتقلب
ولقد أراني والليوث تهابني ... وأخافني من بعد ذك الثعلب

وسيطر الخوف على ابن زيدون ، وزاد قلقه ورهبته من ابن جهور عندما طال سجنه ،ففكر بالهرب فقال : [53]

فررت فإن قـــالوا الفرار إرابة ... فقد فر موسى حين هـم به القبـط
وإني لراج أن تعـــود كبدئها ... لي الشيمة الزهراء والخلق السبط

وحلم امرئ تعفو الذنوب لعفوه | وتمحى الخطايا مثل ما محي الخط
فإن يسعف المولى فنعمى هنيئة | تنفس عن نفس ألظ بهـــا ضغط
وإن يأت إلا قبض مبسوط فضله | ففي يد مولى فوقه القبض والبسط

واستبد الخوف بذي الوزارتين أبي بكر بن عمار في سجنه،بعد استيلائه على مدينة مرسيه،وانفراده بها لنفسه، وكان المعتمد ابن عباد قد أرسله ووقع في قبضت المعتمد بعد فرار دام ست سنوات ،فعبر ابن عمر عن خوفه بوضوح تام حيث خاطب المعتمد بقوله : (54)

أخافك للحق الذي لك في دمي | وأرجوك للحب الذي لك في قلبي

وقال في أبيات أخرى : (55)

واللّه مـــا أدري إذا | قالوا غدا يوم اللقـــاء
ما أقتل الحالمين لي | إن كان خوفي أو حيـاء

وعندما يئس من العفو أشتد جزعا ، ورثى نقسه بقصيدة من أجمل قصائد الرثاء، فقال : (56)

عليَّ وإلا ما نيـــاح الحما ئم | وفيَّ وإلا ما بكاء الغمـــائم
وما لبست زهر النجوم حـدادها | لغيري ولا لاقت له في مـأتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها | لغيري أو حنت حنين الروائم

وهذا أبو جعفر بن عطية القضاعي الأندلسي – الذي كان وزيرا لعبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين بالمغرب والأندلس – سجن لأن حساده أوغروا صدر الخليفة عليه ن فكتب من سجنه إلى السلطان متخوفا من مصيره المحتوم، مشيرا إلى شدة خفقان قلبه ،فقال : (57)

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا | بردِ قلوب هدها الخفقان

ويبلغ به الجزع إلى فقدان القدرة على الانتظار، وهو في سجنه دون معرفة مصيره ، فكتب في ذلك ، وقال : (58)

أنوح على نفسي أم انتظر الصفح | فقد أن أن تنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا في ليل من السخط حائــر | ولا اهتدى حتى أرى للرضى صبح

خامسا : الاستعطاف والاسترحام .

الاستعطاف هو الموضوع الأبرز في شعر المساجين ،يستعطف السجين من بيدهم إخراجه من السجن ، فأحيانا يوجه للملوك وأحيانا للأمراء أملا في الخلاص ، وأحينا لأصحاب النفوذ من أهلا لحل والعقد ،فالخضوع أحيانا هو المسيطر على السجين ، وكذا الرجاء والتضرع ومدح ذوي السلطان، لمن زج به في السجن لا يكون في موقف المساومة مع خصمه الذي يسلط عليه قهره ،فهذا المصحفي الوزير السابق للحكم المستنصر ، والشاعر السجين يستعطف المنصور محمد بن أبي عامر،كي يمنحه الحرية بعد ما كان يمنحها ويمنعها عمن يشاء، فعندما أمر المنصور بسجنه تأكد من هلاكه في السجن، يذكر المقري في كتابه روضة الأزهار فيقول : ولما أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي في المطبق في

مدينة الزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفراق ، وقال لهم لستم تروني بعدها حيا ، فقد أتى وقت إجابة الدعوة ، وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك آني شاركت في سجن رجل في عهد الناصر ، وما أطلقته إلا برؤيا رأيتها بأن قيل لي : أطلق فلان فقد أجيبت فيك دعوته فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته عليَ ، فقال : دعوت على من شارك في أمري أن يميته الله في أضيق السجون ، فقلت : أنها قد وجبت ، فغني كنت ممن شارك في أمره ، وندمت حين لا ينفع الندم ، فقال من سجنه : (59)

هبني أسأت فأين الفضل والكرم | إذ قادني نحوك الإذعان والندم
يا خيرمن مدت الأيدي إليه أما | ترثي لشيخ رماه عندك القدم

فيرد عليه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري : (60)

يا جاهلا بعدما زلت بك القدم | تبغي التكرم بعدما فاتك الكرم
نفسي إذا جمحت ليست براضية | ولو تشفع فيك العرب والعجم

فيتضح من خلال رد المنصور بن أبي عامر علي أبيات المصحفي مدى الصلابة والقسوة في موقفه ،فهي قسوة العقوبة التي ساقها الله على يديه لمعاقبة المصحفي جزاء ما ارتكبه من جرم بحق ناس أبرياء ، فيذكر أنه أمر المنصور بعد موت الخليفة الحكم المستنصر - عندما كان المنصور يأتمر بأمره - بقتل أخي الخليفة لأنه سيرث الخلافة بعد أخيه، فهذا عقاب من الله.ولم يكتف المنصور بسجنه بقرطبة مع بقية السجناء، وإنما جعل سجنه متنقلا معه يصحبه في غزواته إلى أقصى شمال الأندلس ، رغم مرض الرجل وتقدمه في العمر، فذكر المصحفي تلك الحالة، وتقلب الأيام وتنكرها له فقال : (61)

تأملت صروف الحادثات فلم أزل | أرها توافي عند مقصدها الحرا
تجافت بها عند الحوادث برهة | وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
وما هذه الأيـــــام إلا سحائب | على كل حال تمطر الخيروالشرا

أما أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ، فيرسل من سجنه قصيدته المشهورة يستعطف بها ساجنه الأفضل بقوله : (62)

إني دعوتك حين أجحف بي الردي | فاغث فإني منه تحت الكلـــكل
قد طــالت الشكوى واقصر وقتها | مود بكل تصبر وتجـــــمل
واشتدت البلوى وأنت لرفعــها | فاجب فإني قد دعوتك يا علي
كم ذا التــغافل عن وليك وحــده | والأمر يخرج دون كل مؤمـل

ويكتب ابن عمار من سجنه متشفعا بالرشيد ابن المعتمد لدى أبيه قصيدة علية الجودة،وهي طويلة جاءت في تسعة وعشرين بيتا يمدح فيها الرشيد ، ويصف فيها حالة قائلا : (63)

قل لبرق الغمـــام وظاهر بريدي | قاصدا بالسلام قصر الرشـيد
وانجذب في صلاصل الرعد تحكي | ضجتي في سلاسلي وقيودي
وإلى أين في الشفيـــــع إذا ما | لم ألذ منك عنده بالرشيـــد

مشفق يستجيب لي من قـــريب   وأنا أستغيثه من بعيــــــد

ويستشفع بالمأمون بن المعتمد قائلا : [64]

هلا سألت شفاعة المأمون   أو قلت ما في نفســه يكفيني

ما ضر لو نبهتـــه بتحية   تسري النسيم بها على دارين

وكتب إلى المعتمد من سجنه مستعطفا ، فقال : [65]

نعـم لي ذنب غير أن لحلمــه   صفات يزيل الذنب عنها فيسفح

أقلني بما بيني وبينك من رضي   له نحو روح الله باب مفتـــح

ويشكو ابن زيدون من سجنه لدى أبي الحزم بن جهور ليطلقه من سجنه الذي قضى فيه خمسمائة يوم ، فقال : [66]

أيهـــاذ الوزير ها أنا أشكو   والعصا بدء قرعها للحليم

أفصبر مئين خمسا من الأيام   ناهيك من عذاب أليــــم

و بعد ما يأس من إطلاقه من السجن كتب معترفا بذنبه بأن سجنه كان استحقاقا له، لأنه مدحه بما لا يستحق ، وهذا جزاء الكذاب فقال : [67]

قل للوزيـــــــر قطعت بمدحه   زمني فكان السجن منه جوابي

لا تخشى في حقي بما أمضيــته   من ذاك في ولا توق عذابــي

لم تخط في أمري الصواب موفقا   هذا جزاء الشـــاعر الكذاب

المبحث الثاني
الأسباب الموجبة للسجن

لم يسجل التاريخ وجود مجتمع خال تماما من الانحراف، وأنماط أخرى من السلوكيات المستحقة للعقوبات، لذلك كانت العقوبات ضرورية للحد من انتشار تلك السلوكيات، ولتقويم السلوك الفردي وكان السجن ضربا من ضروب التقويم، ثم تحول إلى وسيلة من وسائل القمع بسبب الصراع السياسي أو التسلط الفردي ،وقد كان للشعراء الأندلسيين نصيب وافرمن السجن لأسباب عدة هي :

أولا : الطموح السياسي:

لقد سجن الكثيرمن الشعراء الأندلسيين الذين كانت طموحاتهم السياسية سببا في سجنهم وقتلهم ، من هؤلاء الشعراء ابن زيدون الذي سجن أكثر من خمسمائة يوم نتيجة لما شاع عنه من القيام بمؤامرة ضد أبي الحزم بن جهور حاكم قرطبة في حينها ،فنظم في سجنه عدة قصائد يفتخر بنفسه ويسخر من الشامتين فقال : [68]

ولا يغبـط الأعـداء كوني في السجن   فإني رأيت الشمس تحصن بالدجن
وما كنت إلا كالصارم الغضب في الجفن   أو الليث في غاب أو الصقر في وكن

ومها طال سجنه فهو غير آبه ، فيقول :(69)

لا يهنئ الشـامت المرتاح خاطره   إني معنى الأماني ضائع الخطر
إن طال في السجن إيداعي فلا عجب   قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

وهذا أبن عمار الأندلسي ، يعد مثالا للطموح السياسي الذي قاده إلى السجن ثم الموت ،الشاعر الفقير الذي وصل لأول مرة إلى شلب ممتطيا حمار لم يكن لديه ما يطعمه (70)، ثم وصل للملك والسلطة فقاداه إلى الموت، فقد بعثه المعتمد بن عباد على رأس جيش لاستيلاء على مدينة مرسية من صاحبها ابن طاهر، وبعد دخوله مرسية وأحاطته مظاهر الأبهة والسلطان ، أخذ اليوم الثاني باستقبال المهنئين وقد تزيا بزي ابن عباد في حمل القلنسوة على رأسه ،فأخذته العزة واستمرأ الملك والسلطان، فتمرد على ابن عباد واستقل بمرسية، فلما سقطت مرسية من يده فر الى جليقية ثم سرقسطة لخدمة واليها المؤتمن المقتدر بن هود الذي أرسل ابن عمار لأخذ قلعة شقورة من بني سهل ، فوقع أسيرا وأودع السجن فخاطب صديقه أبا الفضل بن حسدي أن يخفف عنه محنته ، ولو بمقطوعة شعرية تعيد الأمل إلى نفسه والحياة إلى قلبه كالطل يبعث الحياة في الزهور النائمة فيوقضها، لأن الركاب قد حملته بعيدا عن الأهل والأصحاب ورمته في مكان بعيد هو سجن شقورة، فقال من سجنه مخاطبا صديقه أبا الفضل بن حسدي :(71)

أدرك أخاك ولو بقافية   كا لطل يوقظ نائم الزهر
فلقد تقاذفت الركاب به   في غير موماة ولا بجر

وعندما وقع في يد ابن عباد سجنه ، ولم يخرج من سجنه إلا ميتا ،فقال من سجنه شعرا متوسلا المعتمد ، وهو آخر ما جادت به قريحته الشعرية قبل موته على يد المعتمد :(72)

حنانيك في اخذي برأيك لا تطع   عداتي وإن أثنوا علي وأفصحوا

وسجن ابن حزم الأندلسي لأسباب سياسية، فقد كان وزيرا للمستظهر، فلما قتله المستكفي وحل محله ، رمى بكبار بلاطه في السجن، وكان من بينهم ابن حزم فقال قصيدة في سجنه مطلعها :(73)

يا هـاجعا والرزايا لا تؤرقــه   قل كيف يهجع من في الكبل مهجعه
قد طال في هاويات السجن محبسه   وانشت من شمله ما كان يجمــعه

ونكب الوزير أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، الذي أمَره هشام المؤيد وفوضي إليه أمر طليطله، ولكنه اتهم بالإسهام في مؤامرة ضد المنصور، فضفر به المنصور بن أبي عامر فسجنه وكتب من سجنه إلى المنصور قائلا :(74)

فررت فلم يغن الفرار ومن يكن   مع الله لا يعجـزه في الأرض هـارب
ووالله ما كـــان الفرار لحاجة   سوى حذر المـوت الذي أنا راهـب
ولو أنني وفقت للرشـد لم أكن   ولكن أمر اللـــه لا بد غـالـــب

وقد قـادني جرا إليك برمتي　　كما اجتر ميتا في رحى الحرب سالب

وسجن الكثير من الشعراء لا لأنهم كانوا معارضين للحاكم ، وإنما لأن الشاعر كان في الوقت نفسه شخصية سياسية ، يصيبه ما يصيب رجل السياسية عندما تقلب الأوضاع ، وتصطدم المطامع المتباينة ،والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد سجن الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي بسبب التنافس على الحكم - في عهد الخليفة القاصر هشام بن الحم المستنصر – فوجه من سجنه رسالة للمنصور بن آبي عامر قال فيها :(75)

عفا الله عنك ألا رحمـة　　تجـــود بعفـوك إن أبعدا

لئن حل ذنب ولم أعتمده　　فأنت أحـــلَ وأعلى يدا

ألم تر عبدا عدا طـوره　　ومولاه عفا ورشيـد هـدى

أقلني أما لك من لم يزل　　يقيك ويصرف عنك الردى

وثمة شاعران من بني صمادح سجنا لأسباب سياسية، فالأول هو عبد الله بن المعتصم ملك المرية ، الذي أرسله أبوه إلى يوسف بن تاشفين ليهنئه بالاستيلاء على غرناطة . ولكن يوسف سجنه، ذلك لأن المعتصم كان من قبل عدوه اللدود الذي كان يؤلب الناس ضده ولهذا أرسل ملك المرية ابنه ليحقق السلام، ولكن يوسف لم يسلم الأبن لبيه إلا والأب على فراش الموت بعد مرض طويل ، ويحدثنا الأمير السجين عن آماله وآلمه في السجن فقال :(76)

أبعد السنا والمعالي خمـول　　وبعد ركوب المذاكي كبـول

ومن بعد ما كنت حر عزيزا　　أنا اليـوم عبد أسير ذليـل

حللت رسولا بغرناطـــة　　فهل بهذا خطب جليـــل

وثقفت إذ جئتـــها مرسلا　　وقد كان يكرم قبلي الرسول

فقدت المرية أكرم بهــا　　فما للوصول إليها سبـــيل أما الصمادحي الثاني الذي سجن ، فهو أبن الأول وحفيد المعتصم بن صمادح ، فعندما مات المعتصم ملك المرية فقدوا كل شيء ، وذهب محمد بن عبد الله إلى ميورقة وبعدها سرقسطة ، ثم ذهب طرطوشة ودارت حوله الشبهات بسبب هذه الرحلات، فاعتقل وحمل إلى العودة حيث أودع السجن في مراكش، ومن محبسه وبعيدا عن وطنه وصف الشاعر مشاعره في السجن وصبره فقال :(77)

صبرت على منازعة الدواهي　　وطبع الحر صبـر وائتجار

وقلت لعلهــــا ظلم ألمت　　وحال الليل آخرها السفار

وما أنسى الجزيرة والأمـان　　تدير لهـم ودار العز دار

فإن يكن الردى يكن اصطبار　　وإن تكن المنى يكن اغتفار

ثانيا : القول

كما كان الفعل سببا في سجن فاعله،فإن القول كذلك كان سببا في سجن قائله، سواء أكان القول

في السياسة أو الدين، ومن الشعراء الذين كان في سلوكهم الكثير من الجرأة والاستهتار، الشاعر يوسف بن هارون الرمادي ،الذي سجن بسبب تعريضه بالسلطان الخليفة الحكم المستنصر، فألف في سجنه مجموعة شعرية سماها (كتاب الطير)، ووصف في هذا الكتاب كل طائر معروف وذكر خواصه، ثم ذيل كل قطعة بمدح لولي العهد هشام بن الحكم ، وقد ذكر الفتح بن خاقان في كتاب المطمح : (وشاعت عنه أشعار في دولة الخليفة وأهلها، سدد إلهم صائبات نبلها، وسقاهم كؤوس مهلها أوغرت عليه الصدور، وفغرت عليه المنايا، ولكن لم يساعدها، فسجنه الخليفة دهرا واسلكه من النكبات وعرا)[78] فقال :[78]

يولي ويعزل من يومه   فلا ذا يتم ولا ذا يتم

ولم يمنع السجن الرمادي من قول الشعر ، بل ضل ينظمه متشوقا للتحرر، وانطلقت أشعاره في السجن من خلجات الحزن العميق ودوافعه على من ستبكي عليه، وملأ أبياته بالبكاء متشوقا إلى الحرية فقال : [79]

وقالت تضن الدهر يجمع بيننا   فقلت لهـــا من لي بظن محقق

ولكنني فيــما زجرت بمقلتي   زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

ويطول مقام الرمادي في السجن على يد السلطان المنصور ين أبي عامر بسبب أشعار قالها قي دولة الخلافة وأهلها [80]، فشعر بالخوف من بطش السلطان، فخاطب محبوبته أن تدخر دموعها ليوم استشهاده، فقال :[81]

أباكية يوما ولم يأت وقته   سينفد قيل اليوم دمعك فأرفقي

ويلقى عبد الملك بن غصن الحجاري المصير نفسه عندما هجا السلطان ابن ذي النون بقوله :[82]

تلقبت بالمأمـــــون ظلما وأنني   لأمن كلبا حيث لست مؤمنه

سطور المخازي دون أبواب قصره   بحجابه للقاصــدين معنونه

أما من كان القول في الدين سبب سجنه ، فهو محمد بن مسعود البجاني ، المنتسب إلى غسان ، فقد وصفه ابن بسام بقوله : (كان شاعرا مجود جزل المقاطع حسن المطالع ، جيد الابتداء لطيف الاختراع ، كثير الغوص على دقائق المعاني)[83]،فصور نفسه احد اثنين دخلا السجن مع يوسف،وصور جمال الطليق بيوسف فقال: [84]

غدوت في السجن خدن لابن يعقوب   وكنت أحسب هذا في التــكاذيب

رامت عـــداتي تعذيبي وما شعرت   إن الذي فعلـــوه ضـــد تعذيبي

راموا بعـــادي عن الدنيا وزخرفها   فكان ذلك إدنــــائي وتقريبي

لم يعلمـــــوا أن سجني لا أبا لهم   قد كان غاية مأمولي ومطلوبي

المبحث الثالث

النواحي الفنية في شعر السجن

أولا : الصورة والسجن

الصورة : هي الوسيلة التي يعتمد عليها الشاعر في نقل تجربته الشعرية ، وهي (رسم قوامه الكلمات)[85]، وهي تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر، وتستوعب أحاسيسه وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة ، عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها [86]، ويقاس نجاح الصورة في مدى قدرتها على تأدية مهمتها وهي نقل الفكرة والعاطفة معا ،وعلى ما حققته من تناسب بين حالة الفنان الداخلية وما يتصوره في الخارج تصويرا دقيقا ، وهي وحدها قادرة على إحداث الأثر المنشود في المتلقي ، وأقدم مقولة جاءت في لفظة التصوير واستعماله استعمالا أدبيا في مجال الشعر هي مقولة الجاحظ : الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير[87] .

وقد فطن النقاد العرب القدامى إلى فضيلة الصورة وهي عالقة بوهج الحلم إلا أن عقلنة الصورة قد استحوذت على تراث الشعر العربي ولم يفطن العرب إلى كنه الصورة الفنية، فظنونها ظلا للعلم الخارجي فظلت عيون الشعر العربي محدقة في المادة، فجاءت معظم صورهم ترجمة فنية لمظاهر العالم المادي [88] .

والصورة في الشعر الأندلسي عموما وشعر السجن خصوصا لا تختلف عن الصورة في الشعر المشرقي العربي، فالشعر الأندلسي هو وليد الشعر العربي، والصدى القوي له ، فالصورة في الشعر العربي و الأندلسي هي صورة مادية ، وأغلبها من الحواس، لما للحواس من إسهام في رسم الصورة ، وقد تنبه النقاد العرب لذلك فأدركوا ما للموجودات من تأثير ((فالعين تألف بالمرأى الحسن وتقذى بالمرأى القبيح الكريه ، والأنف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمنتن الخبيث ، والفم يتلذذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر))[89] .

ويرى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني أن العين هي الأداة الأولى والكبرى للإحساس بالجمال والإحاطة بمعانيه ، وأن الصبر يحدث أثرا في مزاج الإنسان وتفكيره وإحساسه) .[90]

ولهذا فقد احتل التصوير البصري في شعر السجن المرتبة الأولى ، حيث كان للتشبيه الأثر الأكبر، لأن الصورة ألتشبيهيه تجمع بين ظواهر تبدو متباعدة ، بل متناقضة بمقاييس الواقع الخارجي .

فيرى عبد القاهر الجرجاني أن التشبيه يعمل عمل السحر في تأليف المتباين ، حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئم والعرق ، وينطق الأخرس ويأتي بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين [91]

وإذا قارنا التشبيه عند حذف الأداة وذكرها نرى إن ذكر الأداة يضفي على التشبيه نوعا من العقلانية ، في حين أن الآخر يتسع فيه مجال الخيال فيقترب من الخيال الاستعاري خاصة إذا تباين

الطرفان .

ومن الأدوات الغالب استخدامها في شعر السجون الكاف ، حيث تتمثل وظيفتها في التقريب بين المشبه والمشبه و(توحيد لهويتين متباينتين يولد إغرابا وحركة في النفس)[92] ،من ذلك ما قاله الشريف الطليق – الذي اهتمت بكتبه الكتب التي تعتني بالتشبيهات مثل : الفرائد في التشبيه من الأشعار الأندلسية لأبي الحسن على بن محمد القرطبي ، وكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني – في وصف السجن :[93]

في منزل كالليل أسود فاحم داجي النواحي مظلم الأثباج

يسود والزهراء تشرق حوله كالحبر أروع في دواة العاج

فقد نسج الشاعر صورة بصرية تمثلت بحاسة البصر، وحددت ملامح نفسية الشاعر في إيجاد علاقة بين مدركات حسية ، حيث قارن بين مكان السجن وسواد الليل،وجمعت الصورة بين متناقضين هما تلألاء مدينة الزهراء، وسواد السجن، فقارن بين إشراق مدينة الزهراء وشدة ظلمة السجن،والجمع بين المتناقضات له دلالة نفسية ، فقد نظر الشاعر للأشياء الخارجية من منظور داخلي، فنفسية الشاعر الكئيبة ألقت بظلالها على الكلمات .(فالشعر هو الفيض التلقائي للمشاعر القوية، إنه ينبع من عاطفة)[94]، وكان للتشبيه بالكاف الأثر الأكبر في تحديد ملامح الصورة الشكلية والنفسية،والشاعر الأندلسي قد تجاوز المنطق والعقل إلى عالمه الداخلي في رسم صورته ، وقد عكست الصورة خواص العاطفة،فحالة الشاعر النفسية أظهرتها الصورة البصرية المستقاة من الواقع البيئي (الليل، الحبر)،والواقع النفسي، فتلونت الطاقة الشعورية بالأحداث المعيشية ، فبرز التناقض النفسي الذي يعيشه الشاعر باستخدامه للطباق (يسود ، تشرق) والألفاظ (الليل ، أسود ، داجي ، مظلم ، الحبر) ، وحسن استخدامها أكدت عمق نفسية الشاعر الكئيبة والحزينة، واستخدام الشاعر للطباق لم يكن للزينة والزخرف وتنميق العبارة،فالألفاظ القريبة المألوفة تثري الصورة ، لأن الكلمات الغريبة تنفر القارئ من الأثر الفني ، وتجعله يصرف اهتمامه إلى حل مشكلات اللغة دون التأثر بما فيها من جمال ، وبذلك تفقد الصورة العنصر الهام الذي وجدت من أجله وهو عنصر التأثير.

فالصورة الأولى التي رسمها الشعراء الأندلسيون في السجن هي : صورة الإنسان الباكي الحزين على واقعه البائس ،يذرف الدموع بغزارة وكأنها المطر ، كقول المعتمد بن عباد عند رؤيته خروج الناس للاستسقاء ، ويستغرب من ذلك لأن دموعه تكفيهم فقال :[95]

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعي ينوب لكم عن الأنواء

قالوا حقيق في دموعك مقنع لكنـــــها ممزوجة بدماء

ويجد في دموعه راحة فيكثر من البكاء عند خروج جماعة كانوا معه في السجن فيقول :[96]

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة لقد آن أن يفنى ويفني به الخد

هبوا دعـــوة يا آل فاس لمبتلى بما منه قد عافاكم الصمد الفرد

وتعكس نفسية الشاعر الباكية الحزينة على أبياته ، فيرى الشاعر الطبيعة باكية تشاركه

بكاءه ،فالسحب تذرف الدموع مطرا يهمي على كبده ليخفف غليله، والحمائم تشاركه جزعه وحزنه وبكائه تلك هي الصورة التي يرسمها لنا الرمادي، فهذه سحب يسقط مطرها دمعا ، وتلك حمائم يتحول هديلها إلى بكاء ونواح ، فالأولى تغسله استعدادا لتكفينه ، والثانية تنوح عليه بعد موته ، فقال :[(98)]

على كبدي تهمي السحاب وتذرف   وعن جزعي تبكي الحمام وتهتف
كان السحـاب الواكفات غـواسلي   وتلك على فقدي نوائـــح هتَف

أما ابن زيدون فيقدم لنا الصورة بشكل آخر على هيئة استفهام يحمل معنى الإثبات والاحتجاج ،والثورة،ويدعو عناصر الطبيعة للمشاركة فقال :[(99)]

وهلا أقامت أنجم الليل ماتما   ويطلب ثأري البرق منصلت النصلي
وهلا أقامت أنجم الليل مأتما   لتندب في الأزمان ما ضاع من نثلي
ولو أنصفتني وهي أشكال همتي   لألقت بأيدي الذل لمـــــا رأت ذلي
ولافترقت سبع الثريا وغاضها   بمطلعهـا ما فرق الدهـــر من شملي

فالإثبات يؤكد أن الوقت قدحان لكي تبكيه السحب ، والاحتجاج والثورة للثأر لما ألم به ،وأما الدعوة إلى مشاركة عناصر الطبيعة ففي صورة البرق الذي يطلب ثأر الشاعر ، والأنجم التي تقيم له مأتما وتعدد مآثره وتندب ما ضاع منه ، بل إنها لا تكفي بذلك وإنما تلقي بنفسها بأيدي الذل مشاركة إياه في ذاته ، وكذلك تفترق الثريا ونجومها السبع وتتلاشى في مطلعها حزنا على ما تفرق من شمل الشاعر .

وليست الطبيعة الحية وحدها هي التي تبكيه ، وإنما تشاركه الجمادات ، فصور قصوره (المبارك والوحيد والزاهي) تبكيه وتبكي مجده وقوته وعصره وحضارته ، ولا يقتصر الأمر على القصور وإنما تبكيه الثر ياء والنهر والتاج وماء السماء الذي يهمي دررا على أبنائه، وهي تورية تشير إلى النسب العربي العريق الذي ينتمي إليه المعتمد فقال :[(100)]

بكى المبارك في إثر ابن عبـاد   بكى على إثر غزلان وأســـاد
يكت ثريـــاه لا غمت كواكبهـا   بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته   والنهر والتـــاج كل ذله بادي
ماء السمـاء على ابنائه دررا   يا لجة البحر دومي ذات أزباد

أما ابن زيدون فكان مولع بالصور التي تستلهم الطبيعة ، فقال في مدح الشفيع الذي يريده أن يتوسط له عند ابن جهور ليخرجه من سجنه :[(101)]

للشفيع الثناء والحمد في   صوب الحيا للرياح لا الغيوم

فالصورة ناتجة عن استلهام الطبيعة وتشخيصها ، فليس الفضل في الصورة السابقة في نزول الأمطار للغيوم والسحب، وإنما للرياح التي تسوقها، ومن هنا تكون الصورة البديعية – في المعنى الذي يريد التعبيرعنه – مقابلا للشفيع أو الوسيط الذي يأتي الشاعر بالعفو، فإذا كانت الأمطار هي التي

تحي الأرض فإنها لا تفعل ذلك من تلقاء نفسها ، وإنما بواسطة الرياح وكذلك يكون الشفيع مقابلا للرياح والمشفوع عنده مقابلا للسحب والغيوم .

فتوفيق الشاعر في هذه الصورة يتوقف على دقة الملاحظة لقوانين الطبيعة التي مزجها بخياله، وكون منها هذا التعادل بين العنصر الطبيعي والفكرة التي يريد أن يقدمها ، بحيث تبدوا جديدة في ثوب جديد ، ويستمر في تتبع عناصر الطبيعة وتوظيفها حتى يعطينا لوحة فنية كاملة لمأتمه .

وتتطور الصورة التشخيصية حتى تصل – في بعض الحدود وفي إطار ظروف وشروط معينة – إلى التحول إلى الرمز ،مبتعدة عن الصورة الواقعية،أو تحاول أن نقدم معادلا موضوعيا للواقع ،كقول المصحفي:(102)

غرست قضيبا خلته عود كرمة وكنت عليه في الحوادث قيما
وأكرمه دهري فيزداد خبثـــه ولو كان من أصل كريم تكرما

والصورة الثانية التي رسمها الشعراء الأندلسيون في سجنهم هي الصبر ، كقول سعيد بن جودي ،ذلك الزعيم العربي الشجاع ، الذي وقع في أسر عمر بن حفصون عن طريق المكيدة ، فاجتمعت عليه محنتان محنة الأسر والسجن، ولذلك كانت محنته كبيرة، وهمومه وأحزانه عظيمة ، والغم الذي يملا نفسه وقلبه مؤلما، فلم يجد في كربتته معين له إلا الصبر، فقال : (103)

خليلي صبرا راحة الحر في الصبر ولا شيء مثل الصبر في الكرب للحر
فلا تيآسا من فرجـة بعد ترحة وإن تنعما باليسر من بعد ما عسر

ولا يكتفي سعيد بن جودي في تصوير صبره ، بل في رباطة جأش المحارب المغوار ، فيتحدث عن ظروف أسره التي كان الغدر سببها ،فيقول : (104)

لئن كنت مأخوذا أسيـــرا وكنتما فليس علي حرب ولكن على غدر
ولو كنت اخشي بعض ما قد أصابني حمتني أطراف الرَدينة السمر

وكان المعتمد بن عباد مثالا للصبر والشجاعة المنقطة النظير، فقد سلب ملكة وأسر وشردت أسرته وقتل أبناؤه ، وظل قويا لأن القوة في نظره ليست في الملك المسلوب ، بل في قوة القلب ، وشرف الطباع ، التي لم يستطع ألالأعداء أن يسلبوه فقال : (105)

إن يســـلب العـدا ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضـلوعه لم تسلم القلب الضـلوع
لم أستلب شرف الطبـا ع أيسلب الشرف الرفيع

ولا يأبه ابن زيدون بسجنه لأن السجن للعظماء،فيقول : (106)

لا يهنئ الشامت المرتاح خـاطره أني معنى الأماني ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الأرض عـاصفـة؟ أم الكسوف لغير الشمس والقمر
إن طال في السجن إيداعي فلا عجب قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

فالفكرة الأساسية في الأبيات السابقة هي إشعار الأعداء بأنه لا يأبه بالسجن ،وأن الوضع الذي هو فيه طبيعي لأمثاله ، ولكي يوضح فكرته لجأ إلى التصوير الشعري كوسيلة مهمة من وسائل الإيضاح وليست من الوسائل المألوفة في التشبيه ، أنه التشبيه الضمني الذي يحتاج إلى إمعان فكر ،فعندما أراد الشاعر إيصال فكرته بطريقة مثيرة استعان بالتشبيه الضمني ، الذي لا يظهر فيه طرفا التشبيه بل يلمحان ضمنيا من الكلام، حيث وصف نفسه في سجنه بالعظيم وغيره بالهين ، وعندما شعر بغرابة دعواه واحتاج للبرهان عليها ساق الدليل ليؤكد صحة كلامه، فكان في البيت الأول (الشمس)،وفي البيت الثاني (الصارم ، الليث ، الصقر) ،فالشمس عندما تغيب، والصارم ،عندما يكون في الجفن ، والصقر في الوكر، فهذا لا يعني أن شأنها هين ، واستشهد بالشمس والأشجار العالية فالشمس يصيبها الكسوف ولا يصيب غيرها من الكواكب ، والرياح تصيب الأشجار العالية ولا تصيب الحشائش، فوضحت الفكرة من خلال العلاقة بين الطرفين المدركين بالحس ، مسلتهما الطبيعة ، فجمال الصورة أنها أتت في صيغة استفهام استنكاري يؤكد أن الرياح لا تعصف بالشجيرات الغيرة ، وإنما بالأشجار الضخمة ، وكذلك الشمس ، وقد جاء كل هذا في صورة الاستفهام الذي يحمل معنى الإنكار والتأكيد معا ،إنكار بأن تعصف الرياح بشجيرات صغيرة لا قيمة لها ، وتأكيد عصفها بالأشجار العظيمة ، ونفس الشيء في الصورة الثانية، حيث يؤكد الكسوف والخسوف للشمس والقمر وينكر ذلك لما عداهما ،وقد كانت هاتان الصورتان ثمرة من ثمار تأمل طويل في الكون عبر حاسة البصر .

ويعبر المعتمد عن نفس الفكرة، وإن اتفق مع ابن زيدون في الصورة الأولى، فإن هناك اختلاف طفيف بينهما ، فابن زيدون يتحدث عن الشمس والقمر، أما المعتمد فيتحدث عن البدر فقط فقال :(107)

ولا تعجب لخطب غض منه | أليس الخسف ملتزم البدور

وعندما يريد أبو بكر الداني أن يخفف من معانات المعتمد في سجنه يستخدم نفس الصورة ونفس الحاسة، ولكنه ينفي أن يكون الخسوف ملازما للقمر ، فالصورتان السابقتان قيلتا في معرض تبيان القوة والعظمة أما الثانية فتأتي في معرض الأمل الذي يرى أن الظلام لا يمكن أن يستمر ولا بد له من الانجلاء ، فيقول مبشرا المعتمد في سجنه : (108)

تأهب أن تعود إلى طلوع | فليس الخسف ملتزم البدور

أما الصورة الثالثة، فكانت معاداة الزمان ،حيث صوروا الزمان خصما لهم، وسبب لهم المصائب والكثير من الألم، فيصفه المصحفي بقوله :(109)

ولا تأمنن من الزمـان تقلبا | إن الزمــــان بأهله يتقلب

وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها | فالدهر يأتي بالذي هو أعجب

ويهدم الدهر كل ما بناه الإنسان كقول الطليق :(110)

ألا إن دهرا هادما كل ما نبنى | سيبلى كما يبلى ويفنى كما يفني

ويصور المعتمد الزمان بأنه متقلب ، لا يبقي على حال فيه الأشواك وفيه الورود ، فقال :(111)

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه | والشوك ينبت فيه الورد والآسي يمر حيــنا وتحلو لي حوادثه

فقلمـــــا جرحت إلا أنثت تاسُ

ويصور الخطوب تلاحقه في صورة جديدة على هيئة محارب عنيف قد امتشق سيفه وراح يقطع جلد الشاعر الذي لا يلين ، ويحاول الشاعر أن يمط الصورة لكي يخرج علينا بشيء ، فأيدي الخطوب عندما استلت السيوف وضربت لم تصب المعتمد وحده وإنما أصابت رقاب الآملين تحقيق الأماني والخلاص علي يديه ، ومن ثم فإن الدهر هنا قد بتر يد الكرم عند المعتمد فقال :(112)

سلت علي يد الخطوب سيوفها	فجذذن من جَلدي الخَطيف الأمتنا
ضربت بها أيدي الخُطوب وإنما	ضربت رقـاب الآملين بها المنى
يا آملي العـــادات من نفحاتنا	كفوا فإن الدهـــر كف أكفنـــــا

أما الصورة الرابعة فكانت (الندم) ، وهي ظاهرة سيكولوجية ترتبط ارتباطا وثيقا بالصور السابقة ، فالشاعر يندم لصنعه شيء تسبب في دخوله السجن ،وكان بإمكانه أن يتجنب ذلك ، كقول هشام بن عبد العزيز(113)

تركت رشاد الأمر إذ كنت قادرا	عليه فلقيت الذي كنت أرهب

ويندم المصحفي على شيء آخر،لأنه ربى نذلا جاحدا ناكرا للجميل يقصد محمد بن أبي عامر –لأن المصحفي هو الذي أوصل ابن أبي عامر إلى الحكم – فقال : (114)

تندمت والمغرور من قد تندمـا	وهل ينفع الإنســان أن يتندما
غرست قضيبا خلته عود كرمة	وكنت عليه في الحوادث قيما
وأكرمه دهـري فيزداد خبثـــه	ولو كان من أصل كريم تكرما

أما ابن زيدون فيعترف بذنبه –وهو الهرب – فيبرر له بقرائن تاريخية بفرار موسى خوفا من السجن ،بهدف نيل عفو ساجنيه ، فقال :(115)

فرت فقالوا الفرار إرابة	فقد فر موسى حين هم به القبط

ويقود الندم شعراء كثيرين إلى طلب الصفح والعفو من ساجنيهم ويعترفون لهم بالخطأ ، لعل في ذلك ما يستثير لديهم الشفقة ،ويحرك مشاعر العطف عندهم فيسامحوهم، وهذا ما فعله ابن عمار مع المعتمد بن عباد حيث قال :(116)

نعم لي ذنب غير أن لحلمـه	صفات يزيل الذنب عنها فيسفح
وإن رجائي أن عندك غيرما	يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح

ثانيا : السجن والإيقاع الشعري

الإيقاع من الوسائل المهمة التي استعان بها الشعراء الأندلسيون في سجنهم في إيضاح تجاربهم ، والرقي بها إلى درجة الإثارة لدى المتلقي ،لما له من أهمية في تذوق الشعر ، وينبع الإيقاع من مصدرين مهمين هما (الوزن والقافية ،وبهما يتميز الشعر من النثر.

فالوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية (117)،فالأوزان هي القوالب التي يصب

الشاعر فيها عواطفه ، فلكل عاطفة نغماتها الخاصة ، فتكون تعابير الشاعر عالية النغمة إذا كان مسرورا فيستخدم البحور القصيرة ، وعندما يكون حزينا تكون تعابيره منخفضة فيستخدم البحور الطويلة ،ويؤكد ذلك جابر عصفور بقوله : (لما كانت أغراض الشعر شتى،وكان منها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان، وخير الأوزان ما لائم موضوعه أو عاطفته واتفق معها) [118] .

وقد تمكن الشعراء الأندلسيون في سجنهم من استغلال الأوزان في نقل مشاعرهم، فجاءت الأوزان معبرة عما يجول في خاطرهم، وغلبت المقاطع الطويلة لتستوعب تجاربهم الحزينة، وقد هيمنت المقطوعة على القصيدة ،وهذا يؤكد العلاقة بين الوزن والموضوع .

وقد ربط الغربيون بين الوزن وبين نبضات القلب ، فنبضات القلب في حالة السرور سريعة يكثر عددها في الدقيقة ، وتكون بطيئة حين يستولي عليه الهم والجزع ، وعليه لا بد أن تتغيرنغمة الإنشاد تبعا للحالة النفسية [119]

وبعد حصر البحور المستعملة في شعر السجن الأندلسي تنبين أن الشعراء المساجين قد استخدموا البحور ذات المقاطع الطويلة، وقد كان اختيار الشعراء لأوزانهم قائما على إدراك تام منهم بأسرارها في استيعاب عواطفهم، وملائمة لموضوعاتهم، فجاءت على النسب التالية :

البحر	عدد المقطوعات	النسبة
الطويل	35	% 32،7
البسيط	17	15% ، 8
الكامل	14	،13% 8
الخفيف	9	% 8 4،
الوافر	6	% 6،5
الرجز	5	% 8،4
المتقارب	4	% 8،3
المجتث	1	% 9،0

من خلال الجدول السابق يتضح لنا هيمنة البحور الطويلة في شعر السجن على سواها ليدل على العلاقة بين الوزن والموضوع ، فقد كان في الصدارة من هذه البحور بحر (الطويل) لاستيعابه ما لا يستوعب غيره من البحور ، لأنه يمثل حالات الحزن لاتساع مقاطعه للأنين والشكوى[120]، ولأن نطاقه الإيقاعي المركب من ثمان تفعيلات تتكرر في البيت على وفق نظام معين وهو(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) في الشطر الأول ومثلها في الشطر الثاني ، وتحتوي على ثمانية وأربعين حرفا ، فيتاح للشاعر من خلالها نقل تجربته الشعرية الحزينة،مثال على ذلك قول المعتمد : [121].

غريب بأرض المغربين أسيــــر   سيبكي عليه منبر وسرير

وتندبه البيض الصوارم والقنا	وينهل دمع بينهن غزير
سيبكيه في زاهيه والزهر والندى	وطلابه والعزف ثم نكير

فمن خلال الأبيات السابقة نلحظ الحالة النفسية الحزينة الشاكية المسيطرة على الشاعر، والتي كانت ناجمة عن سجن الشاعر وفقده لملكه وهيبته ن بحيث أثرت تلك الحالة على شعر الشاعر ، والقالب الذي أحتوه ، فكان بحر الطويل ، لأنه ذو وعاء واسع بتفعيلاته الثمان، وحروفه الثمانية والأربعين التي استوعبت تلك الحالة ،فجعلت من الشاعر سباحا ماهرا يسبح في بحر الطويل ، ويسخر أمواجه المتلاطمة قوارب تحمله إلى بر الآمان ،وكل ذلك ناتج عن تحلي الشاعر بطول نفس ناتج عن الألم، سمح له بالبقاء طويلا تحت أمواج هذا البحر ، حتى أن تمكن من التغلب عليه .

ومن خواص هذا البحر انه لايأتي إلا تاما ، فلا يأتي مجزوء اولا مشطورا ولا منهوك ، لأن هذه الحالات لا تناسب حالة الحزن ، فتمام التفعيلات في هذا البحر من تمام المعنى المعبر عنه ، من ذلك ما قاله أبن شهيد في وصف السجن :[122]

فراق وسجن واشتياق وذلة	وجُبَار حفَاض علي عتيد
فمن مبلغ الفتيان أني بعدهم	مقيم بدار الظالمين طريد
مقيم بدار ساكنوها من الأذى	قيام على جمر الحمام قعود
وما اهتز باب السجن إلا تفطرت	قلوبٌ لنا خوف الردى كبود

فالعاطفة في الأبيات السابقة جعلت مطيتها بحر الطويل ، فأبيات الشاعر نموذجا لتوقد العاطفة واحترامها، تلك العاطفة امتطت تفعيلات معينة لتبحر عليها ، فصفات هذا البحر أنه يحتضن العواطف الحزينة ، وعاطفة ابن شهيد لا تجاريها عاطفة في الحزن دلت عليها أبياته السابقة ،حيث بدأها بألفاظ ذات إيقاع مميز،فحسن التقسيم بكلماته (فراق وسجن واشتياق وذلة) ،أكسبت النغمة إيقاعا مريحا لدى السامع، وقد كان إيقاعها في ذهن السامع مقرونا بمعناها ، لأن الشاعر كان واعيا بإيقاعات شعره المنظومة في ذهنه قبل إنشاء الكلمات .

فالعاطفة ولدت التفعيلة التي نتجت عنها موسيقى مؤثرة ، فالشاعر يتمتم بإيقاع ما بتفعيلة ما ، وهو يعد ذهنه ويتهيأ لاستيلاد سلسلة الكلمات المبينة لمقصده ،فيأتي القول مرتبطا بالإيقاع [123] .

وبعد الطويل في الترتيب جاء البسيط ، فقد احتل المرتبة الثانية بعد الطويل في شعر السجن، وهو مثله من حيث طول مقاطعة الثمان على النحو التالي : (مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن) أربع في الشطر الأول وأربع في الشطر الثاني، وقد سمي بسيط لانبساط حركاته في عروضه وضربه ،وانبساط أسبابه، وهو شديد الصلاحية للتعبير عن معاني الرقة وفيه الحنين لاسترجاع الماضي[124] ، مثال ذلك قول المعتمد بن عباد [125] :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا	فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة	يغزلن للناس ما يملكن قمطيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية	كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

من بات بعدك في ملك يسـر به　　　فإنما بات بالأحلام مغـــرورا

فالأبيات مثال للتحسر على الماضي والحنين إليه، فالشاعر يقارن بين ماضيه الحافل بالعز والرفاهية، وبين حاضره التعس الذي فرق بينه وبين أهله،فرماه في السجن وأعوز أهله للناس،فرؤيته لبناته وهن حافيات الأقدام أفقده تماسكه وزاد من حسرته،فكل تلك المعاني الحزينة استوعبتها تفعيلات بحر البسيط، التي سوغت للشاعر حرية التعبير عن معانيه في هذا القالب الموسيقي ، وقد انبسطت حركات هذا البحر لتمثل هذه المعاني الفياضة، وأتاحت للشاعر المجال بمد نفسه عبر حروف المد في العرض والضرب، فحركات المد في قوله (مسرورا ، ومأسورا) فيها نبرة توجعيه وهكذا سارت بقية الأبيات على هذا النمط من الوزن لخدمة الحالة النفسية المحتاجة لحروف المد للتوجع والتحسر.

وجاء البحر الكامل في المرتبة الثالثة في شعر السجن ، ومن صفات هذا البحر السهولة والسلاسة ، فقال فيه عبد الله الطيب : هو أكثر البحور جلجلة وحركة ولا يصلح للعواطف البسيطة [(126)] ،ونتيجة لهذه الصفات فهو قادر على استيعاب المشاعر اليائسة، وتتسم تفعيلاته بالحركة والاضطراب، وقد استغل الشعراء المساجين هذه الصفة فكثرت الزحافات في البيت الشعري، واضطراب تفعيلات هذا البحر تتناسب مع الاضطراب النفسي الذي يعشه الشاعر السجين كقول أبي الحسن على بن محمد القرطبي في وصفه السجن القابع فيه فقال : [(126)]

في منزل كالليل أسود فاحـم　　　داجي النواحي مظلم الأثباج

يسود والزهراء تشرق حوله　　　كالحبر أودع في دواة العاج

من خلال النظر في تفعيلات البيتين السابقين نلمح بوضوح تأثير الحالة النفسية المضطربة عليها وذلك بانخفاض نسبة التفعيلات الصحيحة مقارنة بالمزحوفة ، بحيث بلغت المزحوفة تسع تفعيلات ،والصحيحة ثلاث ، وهذه العلل المزحوفة لم تأتي عشوائية ، بل أنها جاءت لتبين حالة الشاعر النفسية الغير معتدلة وغير مستقرة ،فأصل التفعيلات الصحيحة لهذا البحر هي (متفاعلنمتفاعلنمتفاعلن) في الشطر الأول، ومثلها في الشطر الثاني، ولكن اثر الحالة النفسية المضطربة أحدثت علة الإضمار [(127)] في التفعيلة الأولى والثانية والرابعة والخامسة من البيت الأول، وعلة الإضمار مع علة القصر[(128)] في التفعيلة السادسة من البيت الأول ، وكذلك في البيت الثاني ، فاجتمعت علتان في ضرب البيتين دليل على المعنى المراد وهو الاعتلال وعدم الصحة ، أما بقية البحور فكانت نسبتها ضئيلة فلم نتطرق لها بالتحليل .

النتــائج

بعد الغوص في أعماق النصوص الشعرية للشعراء الأندلسيين الذين ذاقوا مرارة السجن،وحرموا طعم الحرية خرج الباحث من هذه الدراسة بالنتائج التالية :

1 - ظهور الوجه الحزين الباكي لهؤلاء الشعراء ،أبرزته الألفاظ التي عكست التجارب القاسية التي مر بها الشعراء في سجنهم فسجلوا وقائع الأحداث المؤلمة في النفس.

2 - تعددت موضوعات شعر السجن بناء على التجربة التي عاشها الشعراء، فتنوعت بين الاستعطاف والاسترحام لدى من بيدهم إطلاقا لسجين، والحنين والحسرة على الماضي، والخوف من السلطان.

3 - وصف الشعراء سجنهم وأثره على نفسيا تهم الموحشة ووصف الشعراء سجنهم وأثره على نفسيا تهم، وذكروا أنواعه الكريهة نتيجة للأماكن المقفرة الموحشة المخصصة للسجون، من الأطباق تحت الأرض إلى القمم العوالي.

4 - استخلاص أوضاع السجون وحالات المساجين النفسية والجسدية، وما هم عليه من عذاب جسدي ناتج عن الأغلال في الأيدي والأرجل ،وعذاب نفسي ناتج عن يقيد الحرية، وتقييد العظمة والكبر للعظماء المساجين من الملوك والأمراء، وفراق الأهل والأحباب والأصحاب.

5 - تعددت الأسباب التي كانت وراء سجنهم، فكان الطموح السياسي أولاها ،ثم القول الصادر من الشاعر سببا ثانيا .

6 - الدراسة الفنية أبرزت سمات الصورة في شعر السجن حيث رسمت الصورة الأولى الإنسان الباكي الحزين على واقعه البائس ،ذارفا دموعه بغزارة وكأنها المطر، ورسمت الصورة الثانية صورة الإنسان الصابر على محنة السجن وهمومه وأحزانه، أما الصورة الثالثة فصورة الإنسان الناقم على الزمن وتقلباته والذي سبب له البلاء، والصورة الرابعة كانت صورة الإنسان النادم على فعله أو قوله الذي أدخله السجن ،وعكس الإيقاع الحالة النفسية للشاعر السجين، حيث هيمنت البحور الشعرية الطويلة على ما عداها من البحور ،لمناسبتها للحزن لاتساع مقاطعها واستيعابها لتلك الحالة النفسية الحزينة ، فتصدر هذه البحور الشعرية بحر الطويل ، تلاه بحر البسيط ، ثم البحر الكامل ، ثم الخفيف، ثم الوافر ، وغابت البحور القصيرة لأنها لا تناسب حالة الحزن والكآبة وبهذا عكست الصورة والإيقاع التجربة التي سيطرت على الشاعر.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة الحزينة مع شعر السجن الأندلسي ،كشفت الدراسة الموضوعية والفنية الملامح النفسية الشعراء ، حيث تعددت موضوعات شعر السجن، تصدر هذه الموضوعات وصف السجن وأماكنه المتعددة، فباطن الأرض كان أحدها، وقد أبدع الشعراء المساجين بوصف هذا النوع الكئيب، ثم جاء النوع الثاني الذي لا يقل عن الأول بشاعة، حيث كانت قمم الجبال العالية التي لا يسكنها ألا الجن والغربان السود مسرحه، فعزل السجين ودفن أما في باطن الأرض أو في القلاع والقمم العالية، أما وصف حال السجين وما هو عليه من الهوان والأغلال المادية التي قيدت حريته، والمعنوية التي قيدت عظمته وكرمه فقد كان الموضوع الثاني لهذا النوع من الشعر.

وأظهرت الدراسة الأسباب الرئيسية التي كانت وراء سجن السجناء حيث كان الطموح السياسي السبب الأول، ثم جاء القول أو الفعل في المرتبة الثانية، والوشاية والحسد كان السبب الثالث.

أما الدراسة الفنية والتي تمثلت بالصورة الفنية والإيقاع الخارجي والداخلي، فقد لعبت دورا مهما في تجسيد التجربة الفنية، فعبرت الصور بدقة متناهية عن التجربة، وعكست الحالة النفسية للشعراء المساجين ومواقفهم القوية أو المنهارة، فأبرزت الصورة الأولى السجين قويا صابرا على محنته، والثانية صورة النادم على فعله وقوله .

أما الإيقاع فقد أدى دوره في إحداث الأثر بنغماته المؤثرة في نفوس الآخرين، بحيث مال الشعراء إلى الأوزان الطويلة لاستيعابها تجاريهم الحزينة، فتصدر هده البحور الطويل لما يتسم به من مساحة واسعة تناسب حالة الحزن والألم، ولعبت اللغة دورا مهما في إظهار الحالة النفسية للشاعر السجين.

Conclusion

After this topic long journey sad with hair prison Andalusian، the study revealed the substantive and technical features of psychological poets، where there were many topics hair prison، issued this topic themes described prison، location، multiple Fbatn land was one of them، has excelled poets prisoners as this kind dreary، and then came the second type that at least the first horror، where the high mountain peaks that are not inhabited not the jinn and crows black theater ،prisoner and was buried either in the ground or in the castles and the high peaks، and the description of the event prisoner and what it is from the humiliation and shackles material which restricted his freedom، and moral which restricted his greatness and generosity was second theme kind of poetry

The study showed the main reasons behind the prison inmates Where political ambition was the first cause، and then came word or deed in second place، and snitching and envy was the third reason

The technical study، which was the picture artistic and rhythm external and internal، has played an important role in the embodiment artistic experience،images accurately about the experience، and reflected the mood of the poets prisoners and attitudes strong or collapsed، highlighting the first picture prisoner strong patient on his ordeal، and the second image the person who on do and say

الهوامش

1- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ، محمد عويد محمد ساير الطربوشي، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ، 2005م ، ط 1 ،ص107.

2-الشعر والشعراء ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة 2003م ص79 .

3- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، د. إحسان عباس ، ص225

4- جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر 1962م ص 102.

5- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق محمد بن تاوت الطنجي، نشر عزت العطار الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة 1952مص133.

6- المصدر نفسه ص 386 .

7- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري ،تحقيق إحسان عباس ، بيروت 1968م ، 4/ ص223.

8- قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، ابن خاقان ، تحقيق وتعليق الدكتور حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار للطباعة والنشر ، ط1 ، 1409هـــ1989م ، 1/ص274 .

9- سورة الحاقة ، آية 6

10- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، للمراكشي ،مكتبة صادر بيروت، مطبعة المناهل، 1950 م، 2/174.

11- ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع وتحقيق يعقوب زكي ،راجعه الدكتور محمود على مكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة (د.ت) ص99- 100

12- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ن تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر، بيروت 1998، 3/ص 363

13- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ،ص 231- 233

14- نفح الطيب 3/ ص363

15- تاريخ الأدب الأندلسي ص231- 233

16- نفح الطيب 7/ ص219

17- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق عبد القادر زمانه ، الدار البيضاء ، 1979م 3/434

18- ديوان المعتمد بن عباد بن عباد، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسي ، الدار التونسية للنشر 1975م ، ص183

19- الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، من سقوط الخلافة إلى سقوط غرناطة، الدكتور

جمعة شيخه ن الدار المغاربية للطباعة والنشر، تونس 1994م، 3/ص213
20- ديوان المعتمد بن عباد ص156
21- المدر نفسه، ص180
22- المصدر نفسه، ص185
23- المصدر نفسه، ص176
24- المصدر نفسه، ص190
25- المصدر نفسه، ص157
26- المصدر نفسه، ص170
27- المصدر نفسه، ص181
28- المصدر نفسه، ص176
29- المصدر نفسه، ص176
30- المصدر نفسه، ص163
31- المصدر نفسه، ص 185
32- المصدر نفسه، ص168-169
33- المصدر نفسه، ص169
34- المصدر نفسه، ص169
35- ديوان ابن زيدون، رسائله أخباره ،شرح وضبط وتصنيف ، كامل الكيلاني وعبد الرحمن خليفة،1932ممطبعة البابي الحلبي واولاده بمصر، ط1 ، ص13-18.
36- ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص100- 101
37- شعر الرمادي ، جمعه وقدم له ماهر زكي جرار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،1979م، ط1، 94
38- ديوان المعتمد بن عباد ،171 .
39- الحلة السيراء ، ابن الأبار القضاعي ، تحقيق ، حسين مؤنس ،دار المعارف القاهرة ،1985م ،1/159- 160
40- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، 1939م، 1/1/564
41- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر1973م ،2/ 102- 103
42- شعر الرمادي،103 .
43- المصدر نفسه 103 .
44- ديوان ابن شهيد ،101

45- ديوان ابن زيدون 93
46- قلائد العقيان 1/ 24
47- ديوان المعتمد 171
48- المصدر نفسه 187
49- تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة ، 101
50- ديوان المعتمد ،184
51- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،مكتبة صادر بيروت ، مطبعة المناهل ،
52- المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد، تحقيق وتعليق الدكتور شوقي ضيف ،دار المعارف بمصر ، 1964م ،ط1 ،2/ 339- 340
53- الحلة السيراء ،1 / 265
54- ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الحكيم الداني، تحقيق محمد المرزوقي ، دار بوسلامه للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ن 1979م ، ص135
55- الذخيرة 3 /426- 428
56- المصدر نفسه 3 /224- 235
57- المصدر نفسه 3 /420- 421
58- ديوان ابن زيدون 50- 53
59- ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع وتحقيق يعقوب زكي ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ،(د.ت) ، 100
60- مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملح أهل الأندلس ، ابن خاقان ، تحقيق ،محمد علي شوا بكه ، دار عمار ومؤسسة الرسالة- بيروت 1983م ، ص291- 292
61- ديوان ابن زيدون ، 13- 18
62- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خريوس ، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع –الأردن ، 1/ 270
63- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ،دار الثقافة ، بيروت ،1979م ، 3 / 420
64- القلائد 1 / 272
65- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ن تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر، بيروت 1997، 5 / 185
66- المصدر نفسه 5 / 186
67- ديوان ابن زيدون ، تحقيق وشرح على عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، 1957م ، 191

68- المصدر نفسه ،229- 234
69- المصدر نفسه ،92- 98
70- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ،1949م ، ط1 ، 114
71- الحلة السيراء ، 2 / 116- 118
72- نفخ ح الطيب ، 1 / 535
73- جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم ،285
74- الحلة السيراء 1 / 174
75- تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيدة قرطبة ، 100
76- نفح الطيب 7 / 40- 41
77- الذيل والتكملة لكتاب الصلة ، المراكشي ، تحقيق محمد بن شريفة ، وإحسان عباس ، دار الثقافة . بيروت ، (د.ت) ، 6 / 335
78- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1302 ، ط1 ،72
79- شعر الرمادي 118
80- الذخيرة 1 / 2 / 79
81- المصدر نفسه 1 /2/ 79-80
82- الحلة السيراء 1 / 216
83- مطمح الأنفس 318
84- نفح الطيب 3 / 363
85- الصورة الشعرية س دي لويس ، ترجمة احمد نصيف الجنابي ، ومالك ميري وسليمان حسن إبراهيم ، دار الرشيد ، العراق ، 1982م 21
86- الصورة الأدبية في الشعر الأموي ن محمد حسين الصغير، رسالة ماجستير، بغداد ، 1975 ، 11
87- جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب ، دار العلم للملاين ن 1979م، 22
88- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ن نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ن عمان ، 1976م ،11
89- عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق الدكتور طه الحاجري ، والدكتور محمد زغلول ،المكتبة التجارية ، الاهرة 1956م، 3
90- بشار بن برد، إبراهيم عبد القادر المازني،مطبعة عيسى الحلبي،القاهرة ، 1944،61
91- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، علق حواشيه أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، (د.ت)، 148

92- حركة الإبداع دراسة في الأدب العربي، خالد سعيد ،دار العودة – بيروت ، 1982م ،171
93- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،1331
94- النظرية الرومانتيكية سيرة أدبية ، كلوردج ، ترجمة الدكتور عبد الحكيم حسان ، دار المعارف بمصر ن 1997م ، 443
95- ديوان المعتمد 156
96- المصدر نفسه 185
97- شعر الرمادي 88
98- ديوان ابن زيدون 112- 117
99- ديوان المعتمد 161
100- ديوان ابن زيدون 52
101- نفح الطيب 1 / 603
102- المقتبس في أخبار بلاد الأندلس ، تحقيق ملتشور أنطو نيا ، باريس 1937م
103- الحلة السيراء 1 /159-160
104- ديوان المعتمد 174
105- ديوان ابن زيدون 174
106- ديوان المعتمد 174
107- شعر ابن اللبانة ، جمع وتحقيق الدكتور محمد مجيد السعيد ،منشورات جامعة البصرة، 1997م ،53
108- نفح الطيب 1/ 431- 432
109- جذوة المقتبس
110- ديوان المعتمد 144
111- ديوان المعتمد 191
112- البيان المغرب 2/174
113- نفح الطيب 1 /603
114- ديوان ابن زيدون 18
115- نفح الطيب 5 /182
116- العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، مطبعة حجازي، ط2 ،2 / 113
117- مفهوم الشعر دراسة في النقد ، د .جابر عصفور المركز العربي للثقافة والعلوم، القاهر، 1982م ، 42
118- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو مصرية ن مطبعة لجنة البيان العربي 1952م ، مصر ، ط2، 10

119- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة المصرية، 1973م ، القاهرة ،341
120- ديوان المعتمد 186
121- ديوان ابن شهيد 101
122- فاعلية الإيقاع في شعر لطفي جعفر أمان ، د. عبد الله طاهر الحذيفي ، صحيفة 26 سبتمبر ، العدد ، 1223 ، 2005 ،
123- أسرار البلاغة 148
124- جذوة المقتبس 133
125- الإضمار : هو تسكين الثاني المتحرك من التفعيلة
126- القصر هو : حذف السابع الساكن من التفعيلة وإسكان ما قبله .